السّنّة والشّيعة

مسلمون

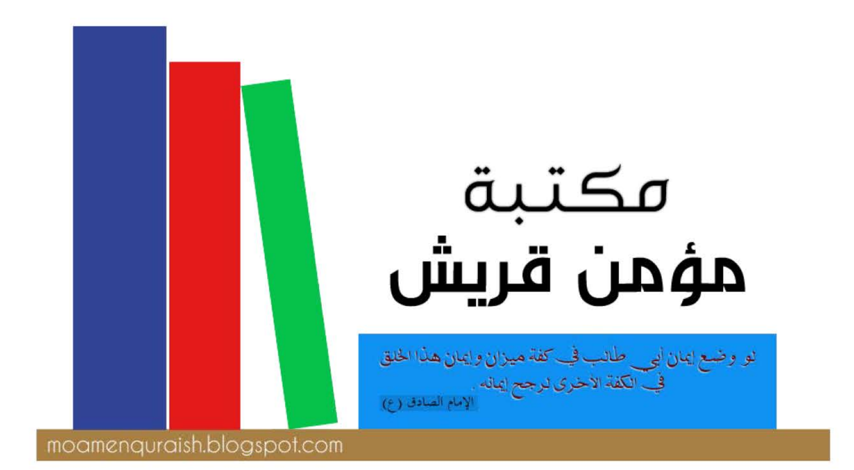
إعداد

الشيخ علي خازم

د. الشيخ عبد اللّه حلاق



دار الهادي


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

السنّة والشيعة
مسلمون

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

ISBN 978-9953-510-19-4



هاتف:03/896329-01/550487- فاكس:541199- ص.ب:25/286غبيري - بيروت - لبنان

Tel.:03/896329-01/550487-Fax:541199-P.O.Box:286/25 Ghobeiry-Beirut-Lebanon

E-Mail: daralhadi @ daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

السنّة والشيعة
مسلمون

إعداد

الشيخ علي خازم و د.الشيخ عبدالله حلاق



للطباعة والنشر والتوزيع



المقدمة

يسعى الغرب من خلال مراكز دراساته الثقافية والفكرية، ودوائره الاستخباراتية، ومؤسساته الإعلامية والسياسية، والصهيونية بكل ما تملكه في الكيان الإسرائيلي الغاصب لفلسطين وبالاستفادة من همروجة الفتاوى «التكفيرية» التي تصدر من هنا ومن هناك في أطراف العالم الإسلامي، إلى تأجيج الفتنة المذهبية بين المسلمين من أجل زيادة الفرقة بينهم وكسر شوكة الأمة وإضعاف قوتها، والسيطرة على مقدراتها وبترولها واقتصادها، وإلحاق الأمة بالغرب ثقافياً وسياسياً وحضارياً، وبمعنى آخر. . . العمل على إبعاد الأمة الإسلامية عن عقيدتها وثقافتها وحضارتها وأخلاقها، بواسطة كل الوسائل الممكنة، على المستوى الثقافي والفكري والاقتصادي والسياسي والاجتماعي والإعلامي.

وقد ظهرت هذه التحديات بوضوح بعد احتلال أفغانستان والعراق من قِبل قوات التحالف الدولي، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأميركية، الذين ما برحوا يضربون على الأوتار

المذهبية، ويسعون إلى بذر الفتنة بين السنّة والشيعة، من خلال بعض التفجيرات الأمنية، التي تطال المساجد وبعض الرموز الدينية من السنّة والشيعة، ويستغلون ويجيِّرون بعض الأقوال والتصريحات التي تصدر عن بعض المشايخ كردات فعل، تهاجم السنّة والشيعة، من أجل جر الناس إلى التنابز والتصارع والتذابح، إلا أن الوعي الديني والثقافي الذي أظهرته النخبة الدينية والثقافية والسياسية العراقية في مرحلة معينة قد أثلجت صدور المسلمين، وصدمت الأجهزة الأمنية الاستخباراتية لقوات التحالف، خاصة عندما تعرضت مدينة المساجد ـ الفلوجة ـ إلى محنة كبيرة من القوات الأميركية، حيث قصفت المساجد والبيوت، واحتلت المستشفيات، وألقت القبض على الجرحى، وسيطرت على بعض المآذن، من أجل استخدامها للقنص على المواطنين العزل من السلاح. . . ونتج عن ذلك مذبحة كبيرة، ذهب ضحيتها ما يزيد عن الألف شهيد والآلاف من الجرحى. . .

لقد فوجئت القوات الأميركية والحاكم العسكري بريمر، بالآلاف من الشيعة يهرعون من المدن الأخرى لنجدة إخوانهم السنّة في الفلوجة على كل المستويات، من أجل تقديم المساعدات المالية والعينية والطبية، والتبرع بالدم والدفاع عن المدينة، هذا الوضع دفع وزير الخارجية الأميركية وقتها، كولن

باول، إلى التعليق والقول (إن هذا التعاون السني الشيعي هو تعاون تكتيكي!!).

لذلك وبياناً إلى العالم أجمع أن هذا التعاون لم يكن تكتيكياً بل هو الأصل في علاقة المسلمين بعضهم ببعض. وأن المسلمين بمذاهبهم أمة واحدة مقابل الأمم الأخرى رأينا في **تجمع العلماء المسلمين** في لبنان وإحساساً بأهمية وضرورة العمل من أجل تحصين اللحمة الدينية والفكرية والسياسية لأُمتنا الإسلامية، خاصة على المستوى المذهبي، أن نظهر من خلال إبراز الحقائق القرآنية بأننا أمة واحدة جمع بيننا كتاب الله عزّ وجل وسنّة النبي ﷺ ومحبة آل البيت الكرام ومحبة الصحابة (رضي الله عنهم).. هذا هو الخط الفكري الذي يوحد الأمة الإسلامية، وعليها أن تعتصم به ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[1].

ولما كان القليل من المسلمين من يعلمون بالحقائق الشرعية لمبحث التكفير في الإسلام وأحكامه وضوابطه الشرعية، فإننا نرى

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

أن قسماً من عامة الناس وخاصتهم قد بدأ يتأثر سلباً بدعوات الفتنة المذهبية، التي ينفخ الغرب والأجهزة الإعلامية الصهيونية في أوارها، من أجل تحقيق أهدافهم في إضعاف الأمة ونهب مقدراتها، واستلاب قرارها السياسي والسيطرة على مقدساتها.

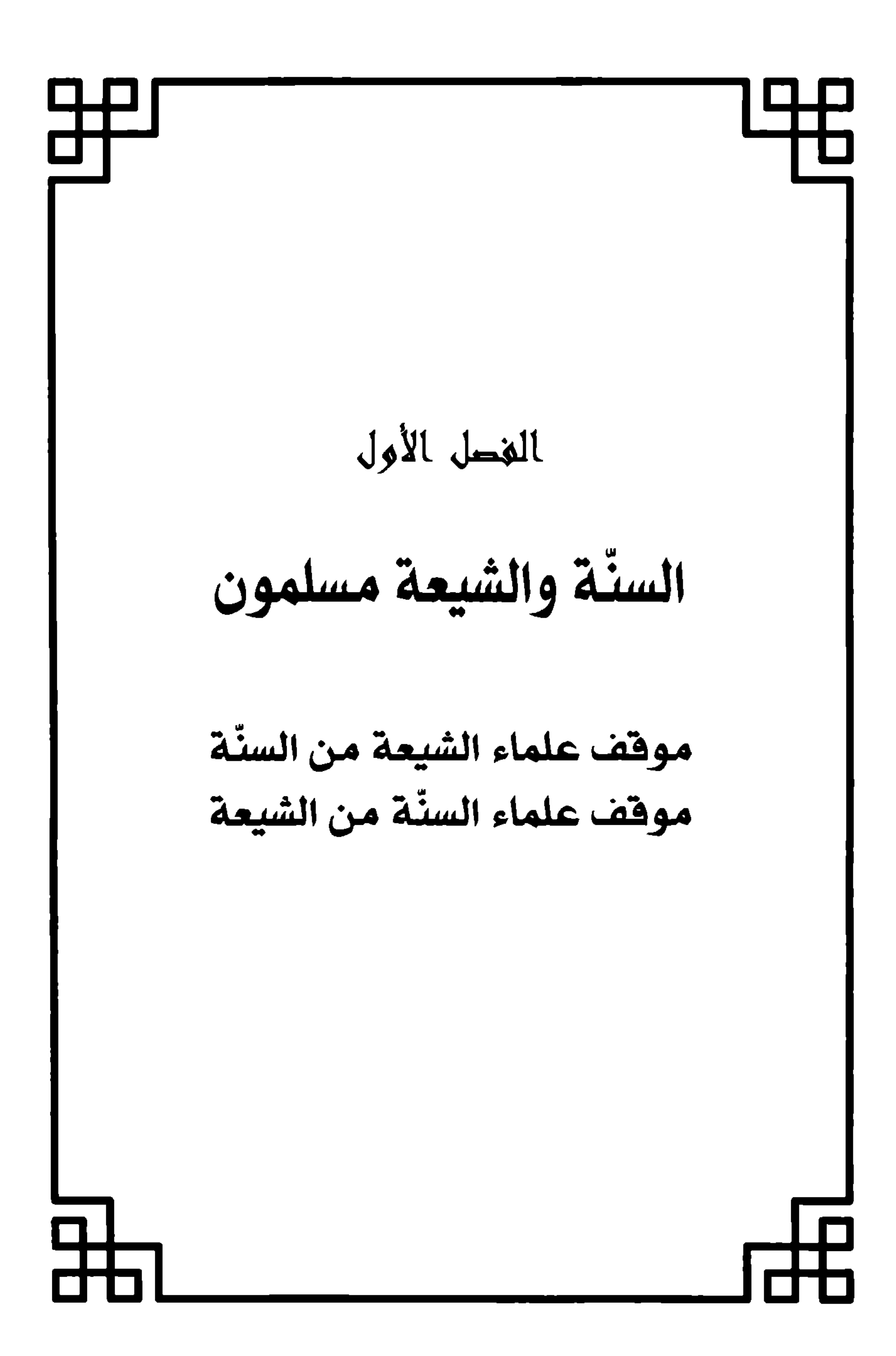
وفي هذه الظروف الفكرية والسياسية التي تعيش فيها أمة الإسلام، وأمام هذه التحديات المصيرية التي تواجهها أمتنا الإسلامية، رأينا أنه من الأهمية بمكان ضرورة تبيان الأحكام الشرعية فيما يتعلق بمسألة التكفير في الإسلام وضوابطه الشرعية، والسعي للإجابة على تساؤلات في هذا المجال لكثير من المسلمين على مستوى العامة والخاصة. وسعينا من خلال هذا الكتاب إلى كشف الحقائق العقدية والأصولية حول الموقف الشرعي للسنّة من الشيعة والموقف الشرعي للشيعة من السنّة، من خلال جلاء الكثير من المسائل العقدية والشرعية بإيراد طروحات كبار العلماء من السنّة والشيعة في هذا المجال.

إن الوحدة الإسلامية واجبة على المسلمين، لأنها الخطوة الأولى نحو التصدي للتحديات المصيرية التي تواجه الأمة الإسلامية، في كل حلقاتها الساخنة، في كشمير والشيشان وأفغانستان والعراق بشكل عام، وفي فلسطين على وجه الخصوص.

وحيث إن لعلماء الإسلام والنخب الفكرية والثقافية والسياسية في أمتنا الإسلامية دورا فاعلا في مواجهة الفتاوى المشبوهة والتصدي لحملات الفتن المذهبية التي تهدف إلى إضعاف عناصر القوة لدى الأمة الإسلامية، نأمل ان يكون لهذا الجهد المستفاد من كبار علماء الأمة أثره الإيجابي.

الشيخ علي خازم
أمين سر مجلس الأمناء

الشيخ الدكتور عبد الله حلاق
مدير مركز دراسات الوحدة الإسلامية



الفصل الأول

السنّة والشيعة مسلمون

موقف علماء الشيعة من السنّة
موقف علماء السنّة من الشيعة

موقف علماء الشيعة من السنّة

يقول **الشيخ محمد جواد مغنية** في هذا الصدد: «المسلم من صدَّق مقتنعاً بكل ما اعتبره الإسلام من الأصول والفروع، والأصول ثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد، فمن شك في أصل منها، أو ذهل عنه قاصراً أو مقصراً فليس بمسلم، ومن آمن بها جميعاً جازماً فهو مسلم.. ويكفي من التوحيد الإيمان بوحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته.. ويكفي من النبوة الإيمان بأن محمداً ﷺ، رسول الله صادق فيما أخبر به معصوم في تبليغ الأحكام.. ويكفي من المعاد الاعتقاد بأن كل مكلف يُحاسب بعد الموت على ما اكتسبه في حياته، وأنه ملاق جزاء عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.. فالتوحيد والنبوة والمعاد، دعائم ضرورية لدين الإسلام، فمن أنكر وجود واحد منها.. فلا يعد مسلماً شيعياً ولا سنياً»[1].

وعن عدم تكفير الشيعة للسنّة لأنهم لا يؤمنون بالإمامة،

---

(١) منظمة الإعلام الإسلامي ـ حول الوحدة الإسلامية أفكار ودراسات ـ ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

يقول: «ضرورات المذهب عند الشيعة على نوعين: النوع الأول يعود إلى الأصول، وهي الإمامة، فيجب على كل شيعي إمامي أن يعتقد بإمامة الاثني عشر إماماً، ومن ترك التدين بإمامتهم عالماً كان أو جاهلاً، وأعتقد بالأصول الثلاثة، فهو عند الشيعة مسلم غير شيعي، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم»[1].

وعن موقف الشيعة من بعض الأحاديث التي يُهاجم بسببها المذهب الشيعي من قِبل أهل السنّة، والمبثوثة في تضاعيف كتبهم (الكافي والاستبصار والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه)، يقول: «إن الشيعة تعتقد إن كتب الحديث الموجودة في مكتباتهم، ومنها الكافي، والاستبصار والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه، فيها الصحيح والضعيف، وإن كتب الفقه التي ألّفها علماؤهم فيها الخطأ والصواب، فليس عند الشيعة كتاب يؤمنون بأن كل ما فيه حق وصواب من أوله إلى آخره غير القرآن الكريم»[2]. وكنا قد سألنا بعض المراجع الدينية الشيعية في العالم (السيد علي الخامنئي والسيد علي السيستاني والسيد محمد حسين فضل الله والسيد محمد سعيد الحكيم) عن الموقف الشرعي الشيعي من أهل السنّة. . . فجاءتنا الردود التالية:

أولاً: أجاب مكتب الاستفتاءات الخاص بسماحة المرجع

---

(١) المرجع نفسه ـ ص ١٥٨.

(٢) منظمة الإعلام الإسلامي ـ حول الوحدة الإسلامية أفكار ودراسات ـ ص ١٥٩.

الديني **السيد علي الخامنئي**، نقلاً عن لسان سماحته: «أي عمل أو قول يعطي الذريعة للأعداء ويوجب التفرقة بين صفوف المسلمين حرام شرعاً». وكان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وعلى موقعه الإلكتروني بتاريخ ٢٤/١١/٢٠٠٦ قد أصدر بياناً ترحيبياً ببيان سماحته حول حرمة سبِّ الصحابة والخلفاء.

ثانياً: أجابت لجنة استفتاء مكتب سماحة المرجع الديني **السيد علي السيستاني**: «أهل السنّة عند الشيعة مسلمون تجري عليهم جميع الأحكام الإسلامية، فيجوز التناكح معهم ويرثون من الشيعة كما يرث منهم الشيعة. ودماؤهم وأموالهم وأعراضهم محترمة ما عدا النواصب والخوارج ومن الكذب البيّن أن ينسب إلى الشيعة تكفير أهل بدر وبيعة الرضوان والمؤمنين من المهاجرين والأنصار وأئمة المذاهب أو أتباعهم».

ثالثاً: أجاب سماحة المرجع الديني **السيد محمد حسين فضل الله** على السؤال بالتالي: «لما كان الإسلام مرتكزاً على الاعتقاد بوحدانية الله تعالى ونبوة رسوله محمد ﷺ ومعاد الخلائق إليه عز وجل، فإن المؤمن بهذه الأصول الثلاثة يصير مسلماً محترم النفس والمال والعرض، والمنكر لواحد منها ـ بعد الإيمان بها ـ يصير كافراً مرتداً.

وفقاً لهذا، فإن المسلمين أمة واحدة يتساوى أفرادها في

الحقوق والواجبات، مهما تعددت مذاهبهم، ولقد جرى أئمة أهل البيت المعصومون عليهم السلام ومعهم عامة الفقهاء المقتدين بهم، على مدى العصور وحتى عصرنا هذا، على الإفتاء والعمل سراً وعلناً، بما يناسب هذه الحقيقة ويؤكدها في علاقاتهم الثقافية والاجتماعية بعامة المنتسبين إلى المذاهب الإسلامية كافة فتعايشوا معهم، وعلَّموهم وتعلَّموا منهم، وتوارثوا وتزاوجوا وتناصروا، وذلك دون أن ينقص من قوة هذا الموقف ونصاعته، اختلافهم في العديد من الأمور، وعلى رأسها مسألة الإمامة، ودون أن ينقص من ذلك تصريح بعضهم ـ شذوذاً بكفر المخالف لهم في المذهب، وبخاصة أنه أراد بـ (الكفر) معنىً لا يضر بأصل إسلامهم، وظل مجرد رأي نظري خالٍ من كل أثر عملي.

واعتقادنا هذا بإسلام وإيمان أهل القبلة يشمل صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين تشرفوا بصحبته وتحملوا معه أعباء الدعوة، وأكرمهم الله تعالى بالنص على الرضى عنهم، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، رغم أن لنا موقفاً من بعضهم بسبب ما جرى من فتن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو موقف لم يصل إلى حد التكفير لذلك البعض، وهكذا الأمر في التابعين وتابعي التابعين وعامة العلماء والفقهاء ومنهم أئمة المذاهب، والملوك وأجنادهم، فضلاً عن عامة المسلمين.

وعلى هذا الأساس فإننا ندعو إلى وجوب العمل لوحدة

المسلمين بالسبل المتاحة كافة، ونحرّم قول أو فعل ما يضر بالوحدة ويؤدي إلى التباغض والفرقة، ومن أهم ما ندعو إليه تعزيز الحوار للتعرف على الأمور التي يمكن التوافق عليها، وتفهم مرتكزات كل فريق في الأمور المختلف فيها، وتكثيف الدعوة إلى التعاون والتناصر والتوحد في جمهور الأمة، بهدف توعيتها وإزالة مظاهر التعصب من حياة ونفوس أبنائها.

وقد قال سماحته في رد على سؤال عن سبٍّ بعض الصحابة أو لعنهم:

إن في ساحة السنّة من لا يمثلون جميع السنّة بأفكارهم وفتاواهم، وفي الشيعة من لا يمثلون الشيعة في أفكارهم وفتاواهم، ومن المهم قيام علاقات طيبة وحميمة بين أبنائنا الشيعة وبين من يختلطون بهم من السنّة، وذلك وفاقاً للآداب والقيم الإسلامية التي تحث على التعاون والتآخي وأما حول سبٍّ الصحابة (رض) فنقول:

يجب على المؤمنين أن يمتنعوا عن فعل وقول كل ما يضرّ بوحدة المسلمين وتناصرهم وتعاونهم على الخير، وبخاصة سبٍّ من هو محترم عندهم من الصحابة والأولياء والعلماء، حتى لو كان لنا عليه مآخذ، وإذا كان الله تعالى قد نهى في كتابه المجيد عن سبّ الكافرين الذين يعبدون الأصنام، وذلك احترازاً من ردة

فعلهم بسبِّ الله تعالى عدواً بغير علم، فما بالك بالمسلمين الذين نتوافق معهم على جلّ العقائد والأحكام، والذين نعيش وإياهم هموماً واحدة ومصيراً واحداً، فإن الواجب يدعونا إلى احترام قناعاتهم وأفكارهم، والكف عن إهانة مقدساتهم وشعائرهم، ومحاورتهم في مسائل الاختلاف بالحسنى والموضوعية، لا بالانفعال والسباب والشتائم. وفي هذا المقام نستذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه وجنده في يوم صفين عندما سمعهم يسبُّون خصمه معاوية وجنده، رغم خروجه عليه وحربه له، فقال: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكن لو وصفتم أفعالهم وذكرتم حالهم لكان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به».

رابعاً: وعن السؤال نفسه أجابت لجنة الإفتاء في مكتب سماحة المرجع الديني **السيد محمد سعيد الحكيم** بالتالي: «ليس من رأي الشيعة تكفير الصحابة، بل ولا عامة المسلمين، على اختلاف طوائفهم، وذلك يبتني على حقيقة الإسلام وتحديد أركانه عندهم. ويعرف ذلك من أحاديثهم عن أئمتهم عليهم السلام ومن فتاوى علمائهم وتصريحاتهم.

معيار الإسلام والكفر عند الشيعة:

ففي موثق سماعة: «قلت لأبي عبد الله: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟» فقال: «إن الإيمان يشارك الإسلام، فقلت فصفهما لي. فقال: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، والتصديق برسول الله ﷺ.

به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس. والإيمان الهدى...»[1].

وفي حديث سفيان بن السمط: «سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما؟.. فقال: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان. فهذا الإسلام....»[2].

وفي صحيح حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام سمعته يقول: «الإيمان ما استقر في القلب وأفضى به إلى الله عز وجل، وصدَّقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره. والإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كُلِّها. وبه

---

(١) الكافي ج: ٢/ ص ٢٥ ـ كتاب الإيمان والكفر ـ باب إن لإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان ـ حديث ١.

(٢) الكافي ج: ٢ / ص٢٤ ـ كتاب الإيمان والكفر ـ باب إن لإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان ـ حديث ٤.

حقنت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر..»[1].

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

وهي تشهد بأنه يكفي في الإسلام الشهادتان والإقرار بالفرائض الضرورية في الدين، وبأن غير الشيعة من فرق المسلمين لا يخرجون عن الإسلام، وتجري عليهم أحكامه من حرمة المال والدم وغيرها إلا بحق. عدا النواصب، وهم الذين يناصبون أهل البيت (صلوات الله عليهم) العداء، على كلام وتفصيل لا يسعنا الحديث عنه، ولا يهمنا فعلاً، لأن الكلام في غيرهم. وعلى هذا جرت فتاوى علماء الشيعة في جميع العصور، دونوها في كتبهم المنشورة، والتي هي في متناول كل من يريد معرفة رأي الشيعة. تجد ذلك في مسائل الطهارة والنكاح والذباحة والمواريث والقصاص وغيرها.

وليسوا في مقام التقية أو المجاملة، ولذا صرحوا في بعض الموارد الأخرى باشتراط الإيمان زائداً على الإسلام. فلتلحظ.

ويحسن إثبات ما تضمنه مصدر واحد، وهو كتاب شرايع

---

(١) الكافي ج: ٢ / ص ٢٦ ـ كتاب الإيمان والكفر ـ باب إن لإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان ـ حديث ٥.

الإسلام، الذي هو من الكتب المعروفة. وقد شرحه كثير من الفقهاء، ويدرَّس في الحوزة.

وعليه تقاس بقية المصادر. قال في مبحث تغسيل الميت: (وكل مظهر للشهادتين يجوز تغسيله عدا الخوارج والغلاة والشهيد..)[١].

وقال في كتاب الحدود في مسائل حد المرتد: (كلمة الإسلام أن يقول أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وإن قال مع ذلك: وأبرأ من كل دين غير الإسلام، كان تأكيداً)[٢].

وقال في فصل الصلاة على الميت: (الأول: من يُصلَّى عليه، وهو كل من كان مظهراً للشهادتين، أو طفلاً له ست سنين ممن له حكم الإسلام)[٣].

وقال في عدد النجاسات: (العاشر: الكافر وضابطه كل من خرج عن الإسلام، أو من انتحله وجحد ما يعلم من الدين ضرورة، كالخوارج والغلاة)[٤].

وقال في كتاب النكاح، في مسائل لواحق العقد: (الأولى: الكفاءة شرط في النكاح، وهي التساوي في الإسلام، وهل

---

(١) شرايع الإسلام - ج: ١ - ص ٣٧.
(٢) شرايع الإسلام - ج: ٤ - ص ١٨٠ - ١٨٦.
(٣) شرايع الإسلام - ج: ١ - ص ١٠٤ - ١٠٥.
(٤) شرايع الإسلام - ج: ١ - ص ٥٣.

يشترط التساوي في الإيمان؟ فيه روايتان، أظهرهما الاكتفاء بالإسلام، وإن تأكد استحباب الإيمان، وهو في طرف الزوجة أتم، لأن المرأة تأخذ من دين بعلها، نعم لا يصح نكاح الناصب المعلن بعداوة أهل البيت عليهم السلام لارتكابه ما يعلم بطلانه من دين الإسلام)[1].

وقال في أول كتاب الذباحة: (أما الذابح فيشترط فيه الإسلام أو حكمه، فلا يتولاه الوثني. . . ولا يشترط الإيمان، وفيه قول بعيد باشتراطه، نعم لا يصح ذباحة المعلن بالعداوة لأهل البيت عليهم السلام ـ كالخارجي ـ وإن أظهر الإسلام)[2]. وقال في مسائل اللواحق: (ما يباع في أسواق المسلمين من الذبائح واللحوم يجوز شراؤه ولا يلزم الفحص عن حاله)[3].

وقال في كتاب الفرائض ـ وهي المواريث ـ عند الكلام في موانع الإرث: (الثالثة: المسلمون يتوارثون وإن اختلفوا في المذاهب، والكفار يتوارثون وإن اختلفوا في النحل)[4].

وقال في كتاب القصاص عند التعرض لشروطه: (الشرط الثاني: التساوي في الدين، فلا يقتل مسلم بكافر ذمياً كان أو

---

(١) شرايع الإسلام ـ ج: ٢ ـ ص ٢٩٩.
(٢) شرايع الإسلام ـ ج: ٣ ـ ص ٢٠٤.
(٣) شرايع الإسلام ـ ج: ٣ ـ ص ٢٠٦.
(٤) شرايع الإسلام ـ ج: ٤ ـ ص ١٣.

مستأمناً، أو حربياً...)[1] وقال في مبحث قصاص الطرف: (ويشترط في جواز الاقتصاص التساوي في الإسلام، والحرية، أو يكون المجني عليه أكمل)[2].

وعلى ذلك تبتني نظرة الشيعة وتعاملهم مع الصحابة عموماً ـ بما فيهم من سبق النص في السؤال عنهم ـ وغير الصحابة من المسلمين الذين يشهدون الشهادتين، ويعتنقون الإسلام ويعلنون دعوته، ويقيمون فرائضه، من دون نظر إلى فرقهم واختلافاتهم فيما زاد على أصول الإسلام، ومن دون نظر إلى بواطن نفوسهم وما تكنه صدورهم وتنطوي عليه ضمائرهم، فإن التعامل إنما يكون على الظاهر.

وعلى ذلك جرت سيرة النبي ﷺ ثم سيرة أئمتنا (صلوات الله عليهم) في جميع عصورهم، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول عمن قاتله: إنهم إخواننا بغوا علينا، ولم يقل إنهم كفروا، ولم يسترق نساءهم ولا استحل أموالهم، لأنهم أهل القبلة، يعني: مسلمين. وعلى هذا جرى شيعته، بل الظاهر إن أكثر المسلمين على ذلك.

نعم كثيراً ما يطلق الكفر في الكتاب المجيد والحديث الشريف

---

(١) شرايع الإسلام ـ ج: ٤ ـ ص ٢١١.
(٢) شرايع الإسلام ـ ج: ٤ ـ ص ٢٣٤.

وكلمات المسلمين عموماً على بعض من يشهد الشهادتين، ويعلن الإسلام تارة: بنحو من المبالغة، من أجل الإغراق في التنفير. وأخرى: بلحاظ الخروج عن مقتضى الإسلام التام المبتني ـ مع الشهادتين ـ على الاستقامة في العقيدة والعمل، والوفاء بجميع ما عهده الله تعالى إلى عباده وطلبه منهم.

وثالثة: بلحاظ عدم مطابقة دعوى الإسلام للعقيدة الباطنة، وهو ما يرجع لطعن الشخص بالنفاق.

وعلى أحد هذه الوجوه يجري قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

وقول النبي ﷺ المروي بطرق متعددة: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[3]. وقول عائشة عن عثمان: (اقتلوا نعثلاً فقد كفر)[4] وقول عمر بن الخطاب عن حاطب بن

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٣) صحيح البخاري ج١ ـ ص ٥٦، كتاب العلم: باب الإنصات للعلماء، ج٢، ص٦١٩، كتاب الحج: باب الخطبة أيام منى، وغيرها.

(٤) تاريخ الطبري ج٣ ـ ص ١٢. في ذكر قول عائشة رضي الله عنها: (والله لأطلبنّ بدم عثمان) وخروجها وطلحة والزبير في من تبعهم إلى البصرة.

أبي بلتعة: (يا رسول الله اضرب عنقه فقد كفر)[1].

وقول حذيفة: (إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان)[2].

وفي كلام لأبي شعيب: (إن حفص الفرد ناظر الشافعي، فقال حفص: القرآن مخلوق، فقال له الشافعي: كفرت بالله العظيم)[3].

وفي حديث ياسر الخادم: (سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: (من شبَّه الله تعالى بخلقه فهو مشرك، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر)[4].

وفي حديث أبي الصلت الهروي عنه عليه السلام: (قلت له: يا ابن رسول الله، فما معنى الخبر الذي رووه: أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجه الله؟ فقال عليه السلام: يا أبا الصلت من وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبياؤه ورسله وحججه (صلوات الله عليهم) هم الذين بهم يتوجه إلى الله وإلى دينه

---

(١) الأحاديث المختارة ج١ ـ ص ٢٨٦. في ما رواه (عبد الله بن عباس عن عمر). وقال: إسناده صحيح، مسند عمر بن الخطاب، ج١، ص٥٥.

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ـ ص ٢٦٠٤، كتاب الفتن، باب: إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ـ ج١٠ ـ ص ٤٣، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في الحلف بصفات الله تعالى كالعزّة والقدرة... سير أعلام النبلاء، ج١، ص٣٠ في ترجمة الإمام الشافعي.

(٤) عيون أخبار الرضا ـ ج١ ـ ص ٩٣.

ومعرفته. . . فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من أبغض أهل بيتي لم يرني ولم أره يوم القيامة، وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني)[1]. وغير ذلك مما هو كثير جداً. لكن ذلك كله لا يرجع إلى نفي الإسلام بالمعنى المتقدم، ولا إلى عدم ترتب أحكامه المتقدمة ـ من حرمة المال والدم وحل الذبائح والنكاح وثبوت الميراث ونحوها ـ كما هو المعلوم من مباني المسلمين عموماً في فقههم، وتعاملهم مع بعضهم، وسيرتهم فيما بينهم، إلا بعض فرق الخوارج أو نحوهم ممن عدّ من الشواذ وباينه المسلمون.

ولا نعهد من عموم الشيعة الخروج عن ذلك في الصحابة، ولا في غيرهم من المسلمين.

اللهم إلا أن يكون هناك شاذ لا يتيسر لنا فعلاً معرفته والوقوف على حديثه. ولو وجد فهو وحده يتحمل مسؤولية قوله وموقفه، من دون أن يتحمل عموم الشيعة مسؤولية ذلك، فضلاً عن أن ينسب إليهم ويحمل عليهم.

الثاني: السب والطعن: ولا يتيسر لنا إعطاء موقف عملي عام للشيعة في ذلك، وتحديد ممارساتهم بنحو مسؤول، فإن الشيعة

---

(١) التوحيد للصدوق ـ ص ١١٧ ـ ١١٨.

شعب، بل شعوب. وهم يختلفون فيما بينهم ـ كسائر الناس ـ في قوة الشخصية وتماسك الأعصاب، وفي ثقافتهم العامة والدينية، وتعرفهم على واقع الصحابة كأفراد وككل، وفي التزامهم الديني والخلقي، وفي تربيتهم وبيئتهم ومجتمعاتهم، وفي اندفاعاتهم العاطفية والانفعالية، ولكل ذلك أثر مهم في ممارساتهم العملية من هذه الجهة.

موقف علماء السنّة من الشيعة

يشير **الإمام أبو حامد محمد الغزالي** إلى أن إيمان المسلم الشيعي بالإمامة لا يكفِّره بقوله: «إن الذي يعتقد استحقاق الإمامة في أهل البيت، وإن المستحق اليوم المتصدي لها منهم، وإن المستحق لها في العصر الأول كان علي (رضي الله عنه) فدُفع عنها بغير استحقاق، وزعم مع ذلك، إن الإمام معصوم عن الخطأ والزلل..

ومع ذلك، لا يستحل دماءنا ولا يعتقد بكفرنا، ولكنه يعتقد فينا إنّا أهل البغي، زّلت بصائرنا عن درك الحق خطأ.. فهذا الشخص لا يستباح سفك دمه، ولا يحكم بكفره لهذه الأقاويل»[1].

وعندما سُئل شيخ الأزهر **الشيخ محمود شلتوت** عن مسألة التعبد على أساس مذهب الشيعة الإمامية، أجاب:

---

(١) الإمام محمد الغزالي ـ فضائح الباطنية ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين، بل نقول: إن لكل مسلم الحق أن يقلد بادئ ذي بدء، أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة، ولمن قلد مذهباً من المذاهب أن ينتقل إلى غيره - أي مذهب كان - ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنّة.

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات[1].

ومن أجل السعي لتوحيد المسلمين على المستوى العلمي والشرعي فقد عمل الشيخ شلتوت على إدخال الفقه المقارن بين المذاهب الإسلامية في كلية الشريعة في الأزهر (من بين ما تُعنى به كلية الشريعة في منهجها الجديد: دراسة الفقه المقارن بين المذاهب الإسلامية على الأسس التالية:

---

(١) مجلة رسالة الإسلام - العدد (٣) - السنة الحادية عشرة - ١٩٥٩ م - ص ٢٢٧.

أولاً: تكون الدراسة على مختلف المذاهب لا فرق بين سنّة وشيعة، ويعني بوجه خاص بيان وجهة النظر الفقهية حكماً ودليلاً لكل مذاهب السنّة، وهي الأربعة المعروفة والإمامية ـ الاثني عشرية ـ والزيدية.

ثانياً: يستخلص الحكم الذي يرشد إليه الدليل دون التفات إلى كونه موافقاً أو مخالفاً لمذهب الأستاذ أو الطالب، حتى تتحقق الفائدة من المقارنة، وهي وضوح الرأي الراجح من بين الآراء المتعددة، وتبطل العصبيات المذمومة.. وفي أصول الفقه ـ يعني بوجه خاص بيان المواضيع الأصولية التي وقع الاختلاف فيها بين المذاهب الستة السابقة الذكر، مع بيان أسباب الاختلاف.. وفي علم مصطلح الحديث ورجاله. تشمل الدراسة ما اصطلح عليه السنّة وما اصطلح عليه الإمامية والزيدية، كما تشمل دراسة الرجال المشهورين أصحاب المسانيد ومسانيدهم في كل من الفريقين، هذا بالإضافة إلى التوسع في هذه الدراسة تفصيلاً في الدراسات العليا بكلية الشريعة)[1].

وقال **الشيخ محمد أبو زهرة** عن الشيعة الإمامية: «الشيعة أقدم المذاهب السياسية الإسلامية، وقد ذكرنا أنهم ظهروا بمذهبهم في آخر عصر عثمان (رضي الله عنه) ونما وترعرع في عهد علي

(١) المرجع السابق ـ ص ٢٢٦.

(رضي الله عنه)، إذ كان كلما اختلط بالناس ازدادوا إعجاباً بمواهبه وقوة دينه وعلمه، فاستغل الدعاة ذلك الإعجاب، وأخذوا ينشرون آراءهم، ما بين رأي فيه مغالاة، ورأي فيه اعتدال.. لا شك أن الشيعة فرقة إسلامية إذا استبعدنا من ألّهوا علياً ونحوهم، ولا شك أنها في كل ما تقول، تتعلق بنصوص قرآنية أو أحاديث نبوية منسوبة إلى النبي ﷺ»[1].

وعندما سأل **الأستاذ عمر التلمساني الشيخ حسن البنا** عن مدى الخلاف بين السنّة والشيعة، عندما رأى السيد محمد تقي الدين القمي ينزل ضيفاً على الإخوان المسلمين في الأربعينات، فقال البنا: «اعلموا أن أهل السنّة والشيعة مسلمون تجمعهم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهذا أصل العقيدة، والسنّة والشيعة فيه سواء وعلى التقاء، أما الخلاف بينهما فهو في أمور من الممكن التقريب فيها بينهما»[2].

ويذكر الداعية **الشيخ محمد الغزالي** محاولات المستشرقين المستمرة في تأجيج الفرقة بين المسلمين: «لقد أحسست وخزاً في فؤادي، وأنا أقرأ كلمة الإسلام الشيعي، والإسلام السني، التي ترددت على لسان المستشرق المجري مراراً.. هل هناك

(١) الشيخ محمد أبو زهرة ـ تاريخ المذاهب الإسلامية ـ ص ٣٣ ـ ٣٧.
(٢) عمر التلمساني ـ ذكريات لا مذكرات ـ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

إسلامان حقاً في أمتنا؟ إنه إسلام واحد، إسلام عارٍ عن هذه الأوصاف الزائدة، مجرد عن تلك الإضافات المحدثة، إن الله ارتضى لنا الإسلام ديناً ومن سبعين قرناً سمانا أبو الأنبياء إبراهيم بهذا الاسم الكريم، ثم جاء النبي الخاتم محمد بن عبد الله، فهدانا الصراط المستقيم وأتم النعمة..

إذاً ما الذي حدث؟ الحقيقة أن هناك أناساً لا يتقون الله في دينهم ولا في أمتهم، أطلقوا غيوماً داكنة من الإشاعات والظنون كانت العلة الدفينة في تمزيق الشمل، وملء الرؤوس بطائفة من التصورات الباطلة..

وجماهير العامة ـ للأسف الشديد ـ ضحايا لتكاذب متبادل لا أساس له، ويوم ينكشف الغطاء عن الحقيقة، فسيحزن كثيرون لما أرسلوا من أحكام، وأطلقوا من عبارات... جاءني رجل من العوام مغضباً، يتساءل: كيف أصدر شيخ الأزهر فتواه بأن الشيعة مذهب إسلامي كسائر المذاهب المعروفة؟ فقلت للرجل: ماذا تعرف عن الشيعة؟ فسكت قليلاً ثم أجاب: ناس على غير ديننا!، فقلت له: لكنني رأيتهم يصلون ويصومون كما نصلي ونصوم!! فعجب الرجل، وقال: كيف هذا؟ قلت له والأغرب أنهم يقرأون القرآن مثلنا، ويعظمون الرسول، ويحجون البيت الحرام..!! قال: لقد بلغني أن لهم قرآناً آخر، وأنهم يذهبون إلى الكعبة كي يحقرونها، فنظرت للرجل راثياً.. وقلت له: أنت معذور، إن

بعضنا يشيع عن البعض الآخر ما يحاول به هدمه وجرح كرامته. . ولكن الدور الآن للعلماء، كما قلت، فإن العلم تأثر بالحكم دهراً، وتلونت الدراسات الدينية بمآرب الحاكمين، ثم ذهب المنتفعون من ذوي السلطة، وبقي المخدوعون من أهل العلم، أعني العامة وأشباههم. . فعلينا نحن ـ حملة الإسلام ـ أن نصحح الأوضاع وأن نزيل الأوهام. واعتقد أن فتوى الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شوط واسع في هذا السبيل. . إن الظنون والخرافات تجتاح الجماهير من أهل السنّة والشيعة، والتخلف البعيد يقعد بهم جميعاً عن حق الله وحق الحياة. . إن الجهل والفراغ يهزان أصول الاعتقاد، وتنشأ في ظليهما أجيال تافهة عابثة، فهل ندع الحريق يجتاح بيضتنا، وننشغل عنه بالتلاوم والتكاذب، إلا أن الأمر أجل مما يتوهم قصار النظر! وأرى أن الطريق لا تزال طويلة، لكننا عرفناها، وبدأنا المسير، ومن سار على الدرب وصل»[١].

وقال شيخ الأزهر سماحة **الشيخ محمد سيد طنطاوي** رداً على استفتاء حول دعاوى تكفير أنصار بعض المذاهب مثل الإباضية والظاهرية والجعفرية والزيدية والأشعرية والصوفية: (لا يجوز أن ينسب إنسان إلى غيره الكفر إلا إذا كان هذا الغير ينكر ما جاءت

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ (ط / ٤) ـ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨.

به شريعة الإسلام من وجوب إخلاص العبادة لله والإيمان بملائكته وكتبه ورسله، وعليه فلا يجوز أن ينسب أحد الكفر إلى أي شخص ينتسب إلى واحد من المذاهب الإسلامية التي اتفقت جميعها على وجوب إخلاص العبادة لله تعالى.

إن الإسلام الحقيقي عرفه الرسول ﷺ بقوله أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، كل إنسان يؤدي ذلك ولا ينكر معلوماً من الدين بالضرورة فهم مسلم...

وعليه فلا يمكن القول بأن أصحاب المذاهب المذكورة غير مسلمين لأنهم كما هو معلوم من ظاهر أحوالهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويعترفون بالأركان الخمسة ويؤدونها وإذا وجد خلاف بينهم في أداء هذه الأركان فهو خلاف في الفروع لا في الأركان والأصول)[1].

دعاة سعوديون: نرفض «الروافض» وننبذ «النواصب»:

نقل الكاتب وائل الكردي في مقالة تحت عنوان دعاة سعوديون: نرفض «الروافض» وننبذ «النواصب» أقوالاً لعلماء من

---

(١) جريدة اللواء ـ بيروت: ٢٠٠٥/٦/٧ م.

المملكة العربية السعودية تدين الفتنة المذهبية والدعوات التكفيرية، والمقالة منشورة في موقع (إسلام أون لاين. نت) «دعوي» قضايا وشبهات بتاريخ ١١/ ٢/ ٢٠٠٧ ومما جاء فيها:

المفكر السعودي، الشيخ سلمان بن فهد العودة:

أكد على أن للدعاة دوراً كبيراً في إخماد الفتن التي تنال من الأمة وتستهدف وحدتها، وأنه ينبغي على الدعاة أن يوجهوا الناس ويصححوا المفاهيم الخاطئة عندهم، كمفهوم أن الحياة هي عبارة عن مقعد واحد إذا اتسع لك ضاق عن غيرك أو العكس، وقال العودة: «هذا مفهوم خاطئ قد يؤدي إلى نشوء أو انزلاق البلد إلى حرب أهلية».

واعتبر الشيخ العودة أن ما يجري اليوم في العراق يعتبر كارثة ضخمة جداً، على العراق وعلى الدول المجاورة، وعلى العالم الإسلامي، وعلى صورة المسلمين أمام العالم.

وقال العودة: «إن المستفيد الوحيد من حرب أهلية في العراق هم اليهود وقوى التحالف الاستعماري، والقوى المتربصة بالإسلام والمسلمين، وربما يكون هؤلاء مسؤولين أحياناً بشكل مباشر أو غير مباشر عن تأجيج نار الصراع بين هذه الطوائف المختلفة».

وأوضح الشيخ سلمان العودة أن هذه المرحلة حساسة جداً، وتتطلب قدراً كبيراً من الوعي واليقظة، وأشار إلى أنه قد سمع عدداً من خطابات العقلاء من قيادات المسلمين السُّنة، سواءً هيئة علماء المسلمين أو غيرها، فوجد أن اللغة المعلنة لغة إيجابية تدعو إلى التهدئة وتجنب التصعيد، وعدم إلقاء التهم جزافاً، وعدم تبادل القتل والعنف والعدوان.

وأعلن الشيخ العودة أنه «يجب بكل قوة وشجاعة لجم الطائشين ولجم المتعجلين ولجم السفهاء، سواءً كانوا من هذه الطائفة أو تلك، وفي حالة حصول الخطأ يجب نفْيُهم والبراءة منهم؛ بمعنى أن هذا الخطأ يتحملونه هم وحدهم ولا أحد يدافع عنهم». وأكد على أنه بغير هذه الروح الشجاعة يُخشَى أن يتحول الوضع إلى وضع مأساوي.

وختم الشيخ العودة حديثه بالإشارة إلى أن الأقوال الجميلة لا تكفي، وأن المطلوب أفعال جميلة أيضاً، للخروج بالعراق من هذا المأزق إلى برِّ الأمان، قائلاً: «أنا أعتقد أنه من أعظم ما يجب أن نفعله الآن هو السعي إلى ضبط النفس، وعدم الاستجابة للاستفزازات المتبادلة، وأن نجعل هناك مجالاً للحوار ومجالاً للتواصل ومجالاً للمصارحة ومجالاً لمحاسبة المخطئين».

الداعية الدكتور عوض القرني:

أوضح أنه ليس من المصلحة في الوقت الحالي إثارة النزعات الطائفية بين مختلف الطوائف المنتسبة للإسلام، وأنه ينبغي أن نعالج أخطاءنا التاريخية بالوسائل المشروعة والحوار العلمي الهادئ المعتمد على الكتاب والسنّة، مؤكداً على أهمية تنزيه قضايا الأمة الكبرى عن المزايدات الطائفية أو السياسية أو المذهبية.

وقال القرني: «ينبغي أن نتجنب الكلمات والألفاظ التي قد تثير الشحناء والبغضاء، مثل «الروافض» و«النواصب»، وغيرها، فليس بالضرورة بقاء الدلالات التاريخية لهذه الألفاظ كما هي منذ أن قيلت»، وأضاف: «نحن في حاجة إلى أن ننتقي من ألفاظنا وأقوالنا وخطابنا ما نستجلب به القلوب، ونستل به سخائمها، وندفع به غائلة الخلاف، وليس حلاً للخلاف أن نتنابز بالألقاب وأن نسبَّ وننال من بعضنا بعضاً، بل أن نسعى لحل مشكلاتنا بهدوء وأدب واحترام».

وشدد القرني على أن الأمة يجب أن تسعى إلى ما يوحدها، لا إلى ما يفرقها، وأن تسعى إلى ما ينهي الخلافات ويلم الشعث، وبالذات في أوقات المحن والتحديات التي تواجه الجميع ولا تفرق بين أحد وأحد.

ورفض الدكتور القرني التساهل في تكفير كل طائفة للأخرى، قائلاً: «إن التكفير حكم شرعي، ولا يجوز أن يُطلَق القول فيه على عواهنه، ولا يجوز تكفير طائفة بمجملها، ولا يجوز تكفير أحد بعينه، إلا إذا قامت عليه الحُجة الواضحة، ولا يكون هذا الحكم إلا بواسطة القضاء، ويجب أن يثبت بوسائل الإثبات الشرعية وقوع المكفِّر».

الدكتور علي بن عمر بادحدح، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة:

«إن الشيعة ليسوا كفرة، وإن كان يصدق في بعض عقائدهم أنها كفرية، بل منهم فرق قريبة إلى أهل السنّة كثيراً، كالزيدية»، بهذه العبارة بدأ الدكتور علي بن عمر بادحدح، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، حديثه، مؤكداً على أنه لا ينبغي إطلاق حكم على فرد إلا بعد بيان معتقده بذاته، ولا يأتي هذا الحكم إلا من أهل العلم والتخصص، ولا بد أن يكون هناك داع لهذا الحكم، ووجود شروط، وانتفاء موانع.

واستطرد بادحدح قائلاً: «الذي نراه الآن أبعد ما يكون عن مثل هذا كله، فمن السنّة من عنده «تشيُّع» بالمعنى اللغوي للكلمة، مثلا هناك قول عن أهل الكوفة (كأبي سفيان الثوري وغيره) أنهم يقدمون علياً على عثمان (رضي الله عنهما) في

ترتيب الصحابة، فهذا قول ليس فيه شيء وإن كان يسمى «تشيعاً» باعتباره مشايعة لعلي، وهذا إطلاق لغوي. لكن الذي يقول بعقائد كفرية تناقض صريح القرآن، فيصدق عليه حينئذ الحكم بالكفر بسبب هذا الاعتقاد».

وتابع بادحدح: «إننا اليوم في ظروف تمر بها الأمة الإسلامية تقتضي عدم التصلب وعدم الوقوف عند التاريخ، بل حتى عند موقع واحد في العراق أو غيره، ربما نحاول أن نغير ونضغط ونخفف، ولكن نتجاوز إلى أن نصل إلى عدم الاحتراب وعدم التضاد وعدم تدمير قدرات الأمة في مصالح ذاتية، بعضها سياسي وليس عقدياً، فهناك حسابات أخرى غير الحسابات الدينية البحتة».

سنّة وشيعة المغرب: لا للتأجيج الطائفي

وكان الموقع نفسه قد نقل بتاريخ ٦/ ٢/ ٢٠٠٧ عن علماء المغرب العربي في مقالة لعبد الرحمن خيزران تحت عنوان: سنّة وشيعة المغرب: لا للتأجيج الطائفي

الدكتور إدريس الكتاني الأمين العام لنادي الفكر الإسلامي:

قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»، وفي رواية: «إن امرأة سألت النبي ﷺ: أمن العصبية أن يحب

الرجل قومه؟ فقال: لا، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم».

من هذا المنطلق أكد الدكتور إدريس الكتاني الأمين العام لنادي الفكر الإسلامي أن الصراع الطائفي المذهبي العنصري «حرام» وبالتالي تحرم الدعوة له أو الإسهام فيه، ومن ثم فداعية العصبية والطائفية ليس من أمة رسول الله ﷺ.

وحول طبيعة الخلاف والمحرك الحقيقي وراء الاقتتال بين السنّة والشيعة، قال الدكتور الكتاني: «الخلاف بين السنّة والشيعة اليوم خلاف سياسي بغطاء طائفي؛ بدليل أنهما تعايشا وتساكنا وتصاهرا في نفس الأقطار والمدن والأحياء منذ أربعة عشر قرناً، وما حدث في العراق يمكن أن يحدث في أي مكان آخر، وهو من تخطيط السفير الأميركي وعملاء أميركا من المنافقين العراقيين والمخابرات الصهيونية.

الدكتور عز الدين توفيق أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الدار البيضاء وعضو رابطة علماء المسلمين:

ووافقه الرأي الدكتور عز الدين توفيق أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الدار البيضاء وعضو رابطة علماء المسلمين، مؤكدا أنه «لا يجوز لطائفة من المسلمين أن تسعى للقضاء على طائفة أخرى بالقتل أو التهجير لمجرد الخلاف المذهبي، لقوله

تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا...﴾[1]، وأضاف قائلاً: «الذي يشعل الفتنة بين السنّة والشيعة يخالف هدي النبي ﷺ في الحوار مع المخالف، وموقفنا مما يجري في بعض الأقطار هو الرفض التام، إذ كيف يُقتَل المرء على هويته وانتسابه المذهبي؟!».

ووصف الدكتور عز الدين توفيق هذه الظاهرة وما يلحقها من اقتتال طائفي بين السنّة والشيعة بأنها مدمِّرة حاضراً ومستقبلاً، وأضاف قائلاً: «تداعيات هذه الفتنة كثيرة، منها انشغال المسلمين ببعضهم وانصرافهم عن قضاياهم المشتركة، ومنها شيوع التعصب وسوء الظن بين المسلمين، ومنها انتشار مشاعر الإحباط واليأس من قيام خلافة إسلامية واحدة تجتمع تحتها مختلف الطوائف، ومنها ما يحصل لدى غير المسلمين من فهم سلبي للإسلام، وغير ذلك كثير».

بن سالم باهشام عضو رابطة علماء المغرب:

وقد اقترح بن سالم باهشام عضو رابطة علماء المغرب عدداً من الخطوات كمنارات في طريق الحل منها: ـ أولاً لابد من معرفة تاريخنا، لمعرفة أصل الداء.

ـ ضرورة وجود مجلس مشترك يلتقي فيه المسلمون من السنّة

(١) سورة النساء، الآية: ٩٢.

والشيعة على بحث كل ما يختلفون فيه، ويتناظرون بطريقة علمية موضوعية ترجع كل شيء إلى الله ورسوله.

ـ على العلماء والدعاة أن لا يعيشوا للإسلام بعقلية المهنة، أي ذلك الموظف لدى الدولة، بل بعقلية الرسالة التي يضحون من أجلها.

ـ حتى نتجاوز حالة التيئيس، علينا أن نسعى لإيجاد نموذج ناجح في التقريب بين المذهبين، وأعتقد أن فكرة التقريب والانفتاح الثقافي فكرة ثورية على المستوى العلمي والثقافي، ونستحضر فتوى شيخ الأزهر محمود شلتوت رحمه الله، في اعتبار المذهب الشيعي مذهباً إسلامياً يجوز التعبد به كباقي المذاهب الأخرى.

ـ استحضار الدور الخطير للصحافة العميلة في إدخال الشك والريبة في صفوف الطرفين، لذلك لا بد لنا من صحافة إسلامية يثق فيها الشعب ويرجع إليها.

ـ لا بد للعلماء من أن يتغلغلوا وسط الأمة ليكتسبوا ثقتها ويوجهوا أفرادها نحو التعايش والمحبة والأخوة.

وكان أمين عام الجماعة الإسلامية في لبنان **الشيخ فيصل مولوي** قد رد على الفتوى المنسوبة إلى الشيخ ابن جبرين عبر موقعه الإلكتروني:

http://www.montadaalquran.com/articles/readarticle.php?articleID=253

مناقشة فتوى الشيخ عبد الله بن جبرين

الشيخ فيصل المولوي(*):

قرأت بألم كبير فتوى شيخنا الحبيب عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين حول «حزب الله»، فالشيخ من كبار العلماء، وقد شاب في طلب العلم والتعليم. وفتواه عادة ينتظرها ويتأثر بها الكثيرون وأنا منهم. لكنه في هذه الفتوى فاجأ الناس بغير ما يعرفونه عنه من التمحيص والتدقيق والتحقيق، وأجاب عن سؤال لم يعرض الواقع على حقيقته حتى تكون الفتوى جواباً على أمر حاصل، فجاء الجواب بعيداً كل البعد عن الواقع الحالي، وألقى به في قلب المعركة الواقعة بيننا وبين العدو الصهيوني، التي يمارس فيها «حزب الله» دوراً محورياً. ومن هنا كانت صدمة الكثيرين من محبي الشيخ وتلامذته.

وقبل مناقشة هذه الفتوى موضوعياً أحببت الإشارة إلى خبث السؤال من خلال هذه التساؤلات:

(١) لو جاء السؤال هكذا: هل يجوز نصرة «حزب الله» الشيعي في معركته ضد العدو الصهيوني الذي أعلن الحرب على لبنان وقتل حوالي ألف شهيد وجرح الآلاف وشرّد مئات الألوف

(*) الأمين العام للجماعة الإسلامية في لبنان.

ـ المصدر: جريدة السفير اللبنانية ٧/٨/٢٠٠٦.

ودمّر البنية التحتية للبنان من الطرق والجسور والمطار ومحطات الكهرباء وغيرها. ومن بين الذين أصابهم القتل والجرح والتشريد ألوف من أهل السنّة ومن المسيحيين فضلاً عن مئات الألوف من الشيعة.

لو كان السؤال يشرح هذا الواقع المعروف، هل نتصوّر أن يكون الجواب نفسه؟

أكاد أجزم بالعكس، وسيأتي دليل ذلك في ما بعد.

(٢) لو جاء السؤال الثاني هكذا: يخوض «حزب الله» الشيعي في جنوبي لبنان حرباً ضد العدو الصهيوني. ويعيش معه عشرات الألوف من أهل السنّة الذين يتعرّضون مع إخوانهم الشيعة للاعتداءات الإسرائيلية المستمرة، ويريدون أن يقاتلوا دفاعاً عن أنفسهم وبيتهم، ولا يمكنهم ذلك إلا إذا انضموا تحت إمرة «حزب الله» الشيعي باعتباره قائداً لعمليات المقاومة. فهل يجوز لهم أن يقاتلوا إسرائيل تحت قيادة «حزب الله»، أو بالتنسيق معه، أو يسعهم أن يستسلموا أمام الصهاينة، أم ينسحبون من المواجهة؟.

لو كان السؤال معبّراً عن هذا الواقع، هل نتصوّر أن يكون الجواب نفسه؟.

أكاد أجزم بالعكس، وسيأتي دليل ذلك في ما بعد.

بعد هذه التساؤلات أنتقل إلى المناقشة الموضوعية للفتوى، وأحصر كلامي في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: هل الشيعة مسلمون؟

(١) اتفق الجمهور الأكبر من العلماء في الماضي والحاضر إن الشيعة الاثني عشرية مسلمون من أهل القبلة، لأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجّون البيت. لم يخالف في ذلك أحد من العلماء المحققين الذين يعتدّ بهم. حتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو أشدّ العلماء نقداً لهم، لم يخرجهم من الملّة، بل اعتبرهم من الفرق الإسلامية الثلاث وسبعين التي أشار إليها الحديث: (تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)[١].

لكن ذكر أن أقوالهم المشتهرة عنهم فيها مخالفات غليظة للكتاب والسنّة[٢]، (وان هذه المخالفات سوّغت لإمامين من أهل السنّة هما يوسف بن أسباط وعبد الله بن المبارك أن يعتبراهم من

---

(١) رواه الترمذي في باب افتراق هذه الأمة. وفي سنده عبد الرحمن بن زياد وهو ضعيف. لكن قال الأرناؤوط في حاشية جامع الأصول (١٠/ ٣٤) يشهد له أحاديث أخرى، فهو حسن.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٤٦.

الفرق الضالة)، أما ابن تيمية نفسه فهو يقول انه (لا يحكم على طائفة معيّنة بأنها من الفرق الضالة الاثنتين والسبعين، وان الجزم بذلك لا بد له من دليل، وان الله تعالى حرّم القول عليه بلا علـــــم: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ . . . وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. وكان حريصاً على إنصافهم وعدم ظلمهم لأن الظلم حرام مطلقاً. ومن ذلك انه يقول: (والرافضة فيهم من هو متعبّد متورّع زاهد)، (وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار، فأسلم على يديه خلق كثير، وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين، وهو خير من أن يكونوا كفاراً)[2].

بناء على ذلك وجدنا الشيعة الاثني عشرية على مدار التاريخ يحجّون مع الناس إلى بيت الله الحرام، باعتبار أنهم مسلمون، ولم ينكر ذلك أحد من العلماء في ما نعلم، كما يدخلون مساجد أهل السنّة والجماعة ويصلّون فيها، ويدخل أهل السنّة مساجدهم ويصلّون فيها، وقد اعتبر الأزهر مذهبهم الفقهي خامس المذاهب الأربعة. وكان قد ظهر على لسان بعض علمائهم القول بتحريف القرآن، لكن جمهور محققيهم أنكر

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٩٦) و(٣٥/ ٢٠١).

ذلك، وقد عقد في طهران منذ سنوات مؤتمر واسع أجمع فيه علماؤهم على إنكار هذا القول. وهم يعتمدون القرآن الكريم الموجود بين أيدي المسلمين جميعاً، في معاهدهم الشرعية ومساجدهم ويتعبّدون بقراءته في صلواتهم، ويقيمون المسابقات العالمية بين الشباب على حفظه، كما يشتركون في المسابقات التي يقوم بها إخوانهم المسلمون.

٢ وإذا كان الشيعة مسلمين، فلهم علينا جميع حقوق الأخوة ومنها النصرة. يقول ابن تيمية رحمه الله: (جعل الله عباده المؤمنين، بعضهم أولياء بعض، وجعلهم إخوة، وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين، وأمرهم سبحانه بالائتلاف، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف، فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ...﴾[2]. فكيف يجوز مع هذا لأمّة محمّد ﷺ أن تتفرّق وتختلف، حتى يوالي الرجل طائفة، ويعادي طائفة أخرى، بالظنّ والهوى بلا برهان من الله تعالى... فهذا فعل أهل البدع... وأما أهل السنّة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله... وإنما الواجب أن يكون المسلمون يداً واحدة،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يضلل غيره ويكفّره، وقد يكون الصواب معه، وهو الموافق للكتاب والسنّة، ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين، فليس كلّ من أخطأ يكون كافراً أو فاسقاً...)، ويقول: (.. فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان... ومن كان فيه إيمان وفجور، أعطي من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره، ولا يخرج من الإيمان بالكلية بسبب الذنوب والمعاصي... وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشرّ وفجور، وطاعة ومعصية، وسنّة وبدعة، استحقّ من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحقّ من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشرّ...)، ولذلك فإنّ (الواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين، أن يصلي معهم الجمعة والجماعة، ويوالي المؤمنين ولا يعاديهم..)[1].

ولا يناقض ذلك ما اشتهر عن ابن تيمية انه دعا إلى قتال الشيعة في كسروان، وقوله: (إن قتالهم أولى من قتال الأرمن) فذلك مبني على ما وصل إليه من معلومات ان الشيعة يقاتلون مع الصليبيين الفرنجة ضدّ المماليك، وقد ثبت في ما بعد أن الشيعة كانوا يخوضون حرباً قاسية ضد الصليبيين في مدينة صور.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٢٦٨) (٨/٥٧٨) (٢٨/٢٠٩) (٢٨/٢٢٨).

المسألة الثانية: وصف الواقع:

المسلمون اليوم يخوضون معركة شرسة ضد الصهيونية العالمية هي في حقيقتها امتداد للحرب التي أعلنها اليهود منذ بعثة محمّد عليه الصلاة والسلام، مع فارق مهم وهو أنهم في هذه المرحلة من مراحل الصراع يفوزون بتعاطف العالم كلّه، وبدعم كامل من الولايات المتحدة الأميركية. وفي المقابل يدخل المسلمون المعركة وهم ممزقون إلى عشرات الدول الضعيفة، بعضها متردد وبعضها متخاذل وبعضها يساعد العدو ضد إخوانه المسلمين. ولم يبق في الميدان إلا الشعب الفلسطيني الأعزل، وقد تآمر العالم ضده لمنعه من التحرر والتسلّح، لكنه أصرّ على المقاومة بالصدور العارية، وصنع بعض السلاح البدائي من خلال إمكاناته الضئيلة، فاستطاع الصمود الذي أذهل العالم، وطرد الصهاينة من غزّة بدون أي تنازلات، ولا يزال يعاني من الاحتلال الاستيطاني في سائر أراضي فلسطين، فضلا عن الحصار المضروب على غزة براً وبحراً وجواً.

في المقابل، وخارج الأرض الفلسطينية كان العدو الصهيوني قد اجتاح لبنان عام ١٩٨٢، فنشأت المقاومة اللبنانية، وأخرجته من بيروت ثم من صيدا خلال مدة قصيرة، وبقي في الجنوب اللبناني، مما أدى إلى استمرار المقاومة سنوات طويلة. ولأن الجنوب تسكنه أكثرية شيعية تقدّر بمئات الألوف، مع أقلية سنّية

تبلغ عشرات الألوف وأقلية مسيحية تماثلها، فقد نمت المقاومة الإسلامية الشيعية، خاصة بعد أن حصلت على تأييد قوي من جمهورية إيران الإسلامية ومن سوريا، واستطاعت أن تنشئ مجموعات منظمة مدربة مجهزة قاتلت العدو في حرب عصابات أدت إلى طرده من لبنان عام ٢٠٠٠، وتحقق لأول مرة نصر عسكري للمسلمين على الصهاينة، وشهد العالم كله ذلك، وعاد إخواننا في الجنوب من الشيعة والسنّة والمسيحيين إلى بلداتهم وقراهم وفرحوا بتحريرها من رجس الصهاينة. وبقيت المقاومة الإسلامية الشيعيّة على سلاحها لأن الكيان الصهيوني لا يزال يحتلّ مزارع شبعا اللبنانية، ولا يزال يعتقل بعض الأسرى اللبنانيين. وكانت المناوشات تحصل من وقت لآخر بين الطرفين، حتى قامت حركة حماس بأسر جندي إسرائيلي وقتل اثنين بعد مواجهة عسكرية ناجحة، فردّت إسرائيل باجتياح غزة وقتل وجرح المئات وتدمير البيوت بحجّة استرجاع الجندي الصهيوني، فما كان من المقاومة الإسلامية اللبنانية إلا أن خاضت عملية عسكرية ناجحة أدت إلى أسر جنديين وقتل ثمانية انتصاراً للفلسطينيين ولتخفيف الضغط الصهيوني عنهم، وردت إسرائيل أيضاً باجتياح لبنان وقتل المئات وجرح الآلاف وتدمير البنية التحتية.

وظهرت بعض الأصوات في لبنان وفي بعض البلاد العربية

تلوم «حزب الله» وتعتبره المسؤول عما حصل من قتل وتدمير.

في هذه الظروف ظهرت الفتوى حول «حزب الله» وجواز نصرته والدعاء له والانضواء تحت قيادته.

المسألة الثالثة: مناقشة الفتوى:

١ ـ هل يجوز نصرة «حزب الله»؟

«حزب الله» يخوض اليوم المعركة ضد العدو الصهيوني. وهو في هذه المعركة انضم إلى أهل السنّة والجماعة الذين يخوضون المعركة ضدّ هذا العدو في فلسطين، فأصبح المسلمون سنّة وشيعة صفاً واحداً ضد الصهاينة. ومن المعروف أن التعاون الكامل قائم بين «حزب الله» الشيعي وبين المقاومة الإسلامية في فلسطين بما فيها حماس والجهاد وكتائب الأقصى وسائر المنظمات، وكلها من الناحية المذهبية سنية. فالسؤال ليس مطروحاً حول جواز نصرة مذهب الشيعة ضد أهل السنّة والجماعة، ولو كان كذلك لكان الجواب صحيحاً من وجهة نظرنا. لكنه مطروح حول جواز نصرة الشيعة في معركتهم ضد العدو الصهيوني، وهي معركة الأمة كلها، فلا يمكن أن يكون الجواب إلا بجواز هذه النصرة، وربما كان الأصح وجوبها، وذلك:

أ ـ لأن المعركة ضد العدو الصهيوني هي معركة الإسلام كله،

ومعركة الأمة كلها بمسلميها ومسيحييها، ونحن نطالب الشيعة بدخولها امتثالاً لأمر الله، حتى إذا دخلوها تخلينا عنهم؟ لا يمكن أن يكون هذا الموقف مقبولا في العقل ولا في الشرع ولا في ميزان المروءة والخلق.

ب ـ ولأن الشيعة معتدى عليهم ومظلومون، فالعدو هو الذي اجتاح أرضهم ودمّر مدنهم وقتل شيوخهم ونساءهم، والمسلم دائماً مع المظلوم ولو كان غير مسلم، وضد الظالم ولو كان مسلماً، والرسول ﷺ يقول: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قالوا: يا رسول الله ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ على يده).

ولا يقال إن «حزب الله» هو البادئ عندما أسر جنديين إسرائيليين، فإن الصهاينة هم الذين بدؤوا بالعدوان علينا عندما احتلوا فلسطين، وهم الذين أخذوا الأسرى الفلسطينيين واللبنانيين قبل ذلك.

ج ـ ولأن الشيعة والسنّة في جنوب لبنان ومعهم أبناء الطوائف الأخرى يخوضون معركة واحدة ضد العدو الصهيوني، فعدم جواز نصرة «حزب الله» معناه تسليم إخواننا هناك ومنهم السنّة إلى العدو الصهيوني، وهذا قطعاً منهيّ عنه لقول رسول الله ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه).

د ـ ولأن الله تعالى أمرنا بصريح قرآنه فقال: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ (الأنفال: ٧٢). وإخوانكم اللبنانيون سنّة وشيعة يستنصرونكم ضد العدو الصهيوني، ويأملون أن لا تخذلوهم، ولستم معذورين إن تخليتم عنهم، إلا إذا كان بينكم وبين العدو الصهيوني ميثاق لا نعلم به، ونعوذ بالله تعالى من ذلك، ونجلّكم عن هذا الموقع الكريه، الذي قد تقع به بعض الأنظمة، لكن لا يمكن أن ينساق إليه العلماء.

٢ ـ هل يجوز الانضواء تحت إمرتهم؟

إن الانضواء تحت إمرة «حزب الله» الشيعي بالمطلق، أو في نصرة المذهب أمر غير مطروح أصلاً. والجواب عنه بالنسبة لأهل السنّة والجماعة واضح لا يحتاج إلى فتوى. أما الانضواء تحت إمرتهم في قتال العدوّ الصهيوني، فهو المقصود بالسؤال. وهو أصلاً ما يفعله الكثير من شباب السنّة في الجنوب اللبناني الذين يريدون القتال دفاعاً عن أنفسهم وقراهم ولا يستطيعون ذلك في الظروف الحالية إلا تحت قيادة المقاومة و«حزب الله». وأظن أن الجواب بجواز ذلك، وقد صرّح به الفقهاء، وقام به المسلمون فعلاً:

أ ـ جمهور الفقهاء يصرّحون بجواز الغزو مع أمير جيش ولو

كان جائراً أو ظالماً أو فاسقاً، وذلك لأن ترك الجهاد معه سوف يفضي إلى ظهور الكفار على المسلمين[1].

وقد ذكر ابن قدامة في المغني تحت عنوان (ويغزى مع كلّ برّ وفاجر): (أرأيتم لو أن الناس كلّهم قعدوا كما قعدتم، من كان يغزو؟ أليس كان قد ذهب الإسلام؟). ويعلل الأمر بقوله: (ولأن ترك الجهاد مع الفاجر يفضي إلى قطع الجهاد، وظهور الكفار على المسلمين، واستئصالهم، وفيه فساد عظيم).

ويستدلّ ابن قدامة بحديثين عن أبي داود:

الأول: عن أنس، ونصّه: (ثلاث من أصل الإيمان: الكفّ عمّن قال: لا إله إلا الله، لا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل. والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار).

والثاني: عن أبي هريرة ونصّه: (الجهاد واجب مع كلّ أمير، براً كان أو فاجراً، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم، براً كان أو فاجراً، وإن عمل الكبائر).

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، نقلاً عن ابن عابدين ٣/ ٢٢٢ وجواهر الإكليل ١/ ٢٥١ وحاشية الدسوقي ٢/ ١٧٤ والمغني ٨/ ٣٥٠.

ومع أن الحديث الأول ضعيف لأن راويه عن أنس هو زيد بن أبي نشبة وهو مجهول.

والحديث الثاني منقطع لأن راويه عن أبي هريرة مكحول. إلا أن أبا داود يتبنى في هذه المسألة رأي الجمهور، ويقول: قد تقدم غير حديث يدلّ على الجهاد مع أئمة الجور.

منها حديث عمران بن حصين: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحقّ، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال)، وقال الخطابي في معالم السنن تعليقاً على هذا الحديث: (فيه بيان أن الجهاد لا ينقطع أبداً. وإذا كان معقولاً أن الأئمة كلهم لا يتفق أن يكونوا عدولاً، فقد دلّ هذا على أن جهاد الكفار مع أئمة الجور واجب، وان جورهم لا يسقط طاعتهم في الجهاد وفيما أشبه ذلك من المعروف)[١].

وكان الإمام البخاري رحمه الله قد عنون في صحيحه باباً بعنوان: (الجهاد واجب مع البر والفاجر)، واعتمد فيه على حديث: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) وحديث: (البركة في نواصي الخيل) لأن المقصود بالخيل هنا ما يعدّ للغزو والجهاد، وهذا يعني أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وهذا لا يكون إلا مع كل أمير: بر أو فاجر.

---

(١) رواه الترمذي عن أسامة بن زيد، وقال حديث حسن جيد (٤/ ٣٨٠) ط الحلبي.

وظاهر كلام الفقهاء يتعلّق بغزو الأعداء في ديارهم، أما لو اعتدوا هم على بلاد المسلمين فالجهاد الدفاعي مع الأمير ولو كان جائراً أو ظالماً أو فاسقاً أوجب، من باب قياس الأولى لأن غزو الأعداء في ديارهم لا يعدو أن يكون مستحبا أو فرض كفاية، أما الدفاع عن بلاد المسلمين فهو فرض عين كما هو معلوم. ومن المعروف أن الجور أو الظلم أو الفسق أو الفجور مسألة نسبية، وقد يكون الأمير ظالماً في نظر بعض المسلمين، وقد لا يكون كذلك في نظر غيرهم، لكن في جميع الأحوال يجب أن تبقى الأمة موحّدة خلف قيادتها في مواجهة العدو الخارجي.

ب ـ ولقد حصل في تاريخنا الإسلامي أن تولى السلطة حكام منحرفون، وقاتل المسلمون أعداءهم تحت قيادتهم. وهو مذهب قال بتكفيره الشيعة أنفسهم، ومع ذلك فقد وقعت في أيامهم معارك طاحنة ضد الصليبيين، قاتل فيها السنّة إلى جانب الشيعة الفاطميين بل تحت قيادتهم. وقد كان حاكم القدس يوم احتلال الصليبيين لها ممثلا للدولة الفاطمية في مصر، لكنه حصّن المدينة وقاتل الصليبيين واستشهد تحت رايته مئات الألوف من المسلمين من كل المذاهب، منهم علماء كبار من أهل السنّة. بل إن صلاح الدين الأيوبي كان وزيراً للدولة الفاطمية بمصر، وقاتل الصليبيين تحت رايتها يوم كان وزيراً وقائداً عسكرياً لتلك الدولة.

هل من المعقول أن يدرك جمهور المسلمين من كل المذاهب في ما مضى أهمية الوحدة أمام العدو، فيتجاوزوا خلافاتهم ويقاتلوا معاً دون النظر إلى من يكون القائد، ويحققوا النصر، بينما نقف اليوم ممزقين أمام العدو المحتل، تنخر فينا الفتن المذهبية والطائفية وتؤدي إلى هزيمتنا نفسياً قبل أن نهزم عسكرياً.

٣ ـ هل يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين؟

من البديهي القول انه إذا كان القصد الدعاء لهم بالنصر والتمكين ضدّ أهل السنّة والجماعة فهو لا يجوز، لأنه يفترض وقوع المعركة بين فئتين من المسلمين، ولا يجوز أصلاً أن يقتتل المسلمون، وإذا وقع القتال بين فئتين منهم فالواجب محاولة الإصلاح بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فالواجب قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله. قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾[1].

ليس هناك أي قتال بين «حزب الله» وبين أية جماعة من أهل السنّة والجماعة، لا في لبنان ولا في غيره. بل هناك تعاون وثيق بينهم وبين حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين. وهناك أيضاً

(١) سورة الحجرات، الآية: ٩.

تعاون وتنسيق بينهم وبين الجماعة الإسلامية في لبنان. ولا يجوز أن نحمّل «حزب الله» وزر ما يجري في العراق من فتنة مذهبية بين السنّة والشيعة، فهو ليس له وجود تنظيمي هناك، فضلاً عن انه استنكر علناً هذه الفتنة، ولم يصدر عنه أي تأييد لأي فئة شيعية متهمة بذلك، والله تعالى يقول: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].

أما إذا كان المقصود الدعاء لهم بالنصر والتمكين ضد العدو الصهيوني، وهذا هو المتبادر إلى الذهن لأنهم الآن يخوضون معركة قاسية ضد هذا العدو، في هذه الحالة يبدو من المستغرب القول: انه لا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين. لأن معركتهم هي معركة المسلمين جميعاً، وهم ينوبون عن الأمة كلها في الدفاع عن حياضها. وإذا كان الآخرون عاجزين لسبب أو لآخر، فلا أقلّ من الدعاء لإخوانهم المقاتلين بالنصر والتمكين. إن قتال «حزب الله» الشيعي في جنوبي لبنان ضد العدو الصهيوني، هو جزء من معركة الإسلام والأمة الإسلامية ضد الصهيونية في هذا العصر، وأي انتصار لهم يصبّ في مصلحة الأمة كلها، ويمهّد للانتصار الأكبر الذي سيتحقق لها ضد الصهاينة إن شاء الله. وأي هزيمة لهم لا سمح الله تعتبر هزيمة للأمة كلها، وتؤخر نصرها

(١) سورة النجم، الآية: ٣٨.

الموعود. فالدعاء لهم بالنصر والتمكين ضد العدو الصهيوني هو دعاء لانتصار الأمة كلها ضد أعدائها الصهاينة، ولذلك تلهج به ألسنة الملايين من المسلمين في كل بقاع الأرض، وفي مقدمتهم علماؤهم.

وحتى لو أردنا أن ننساق مع النظرة المذهبية الضيقة وهو أمر مرفوض لكننا نشير إليه من باب المجادلة فقط فإن «حزب الله» الشيعي أسدى إلى إخوانكم السنّة في جنوب لبنان معروفاً كبيراً حين حرّر مناطقهم من الاحتلال الصهيوني، وهو الآن يساعدهم في صدّ العدوان عنهم. وجمهور العلماء في مثل هذه الحالة يعتبر الدعاء مستحباً لمن يسدي إليك معروفاً، وذلك لقول رسول الله ﷺ: (من صنع إليه معروف، فقال لفاعله جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء)، وقوله: (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)[1].

قد يتوقف بعض المسلمين في ذلك بحجة انه: (إذا انتصر «حزب الله» في معركته ضد اليهود فهو سيزداد قوة ثم يتوجه إلى أهل السنّة) وهذا في اعتقادي من تلبيس إبليس، لأن مواجهة

(١) رواه أبو داود (٢/ ٣١٠) تحقيق عزّت عبيد دعاس، والحاكم وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

المسلمين لليهود معركة قائمة منذ بعث رسول الله ﷺ، وهي مستمرة حتى يتحقق النصر الكامل للمسلمين. و«حزب الله» الآن جزء من هذه المعركة. أما الخلاف بيننا وبين الشيعة فهو خلاف ضمن الصف الإسلامي، ومن الواجب شرعاً وعقلاً أن يتعاون أبناء الأمة جميعاً ضد العدو الخارجي. وقد حصل في التاريخ أن تعاون أهل السنّة مع الشيعة في مواجهة الحملات الصليبية. أما في عصرنا الحاضر فإن التعاون قائم أيضاً بين السنّة والشيعة ضد العدو الصهيوني في لبنان وفلسطين، بينما الفتنة المذهبية في العراق تأكل الأخضر واليابس، وتمهّد لتقسيم العراق وإطالة أمد الاحتلال. فهل يريد البعض نقل النموذج العراقي إلى لبنان، وإشعال الفتنة الطائفية فيه لزيادة تمزيق الأمة وتمكين الأعداء منها، أو أن الواجب الشرعي والوطني هو نقل النموذج اللبناني إلى العراق، لإطفاء الفتنة المذهبية المشتعلة ولإعادة توحيد العراق ومواجهة الاحتلال؟.

إذا انتصر «حزب الله» في معركته ضد اليهود فيجب أن يكون ذلك انتصاراً للأمة كلها، ولا شك بأن «حزب الله» سيزداد قوة بتحقيق هذا الانتصار، وقد يستفيد من هذه القوة في تحقيق بعض المكاسب في التنافس السني الشيعي، لكن الشيعة وصلوا في الماضي إلى أكثر من هذه القوة، ولم يؤدّ ذلك إلى تغيير المسار العام لهذه الأمة، فليس من المعقول تحت ستار الخوف من

احتمال، قد يقع وقد لا يقع، أن نأخذ موقفاً خاطئاً من أمر واقع. إن استخدام «حزب الله» والشيعة لقوتهم ضد أهل السنّة لا يعدو أن يكون احتمالا نظرياً (ونحن مطمئنون انه لن يقع بإذن الله)، وإن رجّح البعض وقوعه فنحن نقول: إن ضرره قليل والأمة قادرة على استيعابه كما حصل في الماضي. أما العدوان الصهيوني على أمتنا فهو قائم ومستمرّ، وهو يمعن في القتل والتدمير، ويحظى بدعم الولايات المتحدة والعالم الغربي، وهو خطر محدق على الإسلام والمسلمين، يشمل العقيدة كلها أصولاً وفروعاً، ويشمل الشريعة كلها، ويمتد ليشمل الأرض والعرض والثروات والأوطان. فهل يجوز التفرّق والتخاذل أمام هذا الخطر القائم خوفاً من خطر محتمل وهو أقلّ بكثير وحتى لو تحقق فإن الأمة قادرة على استيعابه. ثم إذا كان مثل هذا الخطر محتمل الوقوع، فهل يجوز أن نصدر الفتاوى ونتخذ من المواقف ما يساعد على وقوعه، أم يجب علينا جميعاً أن نتدارك هذا الأمر، بالتأكيد على ما يجمعنا مع إخواننا الشيعة كأمة واحدة، وعلى توثيق عرى التعاون ضد العدو الصهيوني، وفي كل ما يحقق مصالح الأمة ويحفظ وحدتها وكرامتها.

يتهم البعض هذه الفتوى بأنها جاءت لتأييد النظام السعودي ضد «حزب الله» الشيعي، لكن من الواضح أن موقف النظام السعودي ليس في هذا الاتجاه، ولو انه وصف عملية أسر الجنديين الإسرائيليين في بيانه الأول إنها مغامرة، لكن هذا

التحليل السياسي لم يكن ناتجاً عن موقف عقائدي تجاه الشيعة، ونحن نعلم جهود المملكة لتعزيز العلاقات السنية الشيعية في السعودية وفي لبنان، ومنها المبادرة السخية لمساعدة المنكوبين وأكثرهم كما هو معروف من الشيعة.

إنني أتمنى أن تصل هذه الدراسة إلى شيخنا الحبيب عبد الله الجبرين، وأرجو أن أسمع منه جواباً يطمئن القلوب، ويعيدنا جميعاً إلى رحاب الأمة الواحدة التي يتعامل أبناؤها بالعدل والإنصاف، ويواجهون أعداءهم صفاً واحداً كما أمر الله.

وكان سماحته قد أجاب على استفتاء عن كفر الشيعة في موقعه الالكتروني:

http://www.mawlawi.net/Fatwa.asp?fid = 844&mask =

الشيعة: الفتاوى

فتوى رقم: ٨٤٤

عنوان الفتوى: هل الشيعة كفرة؟

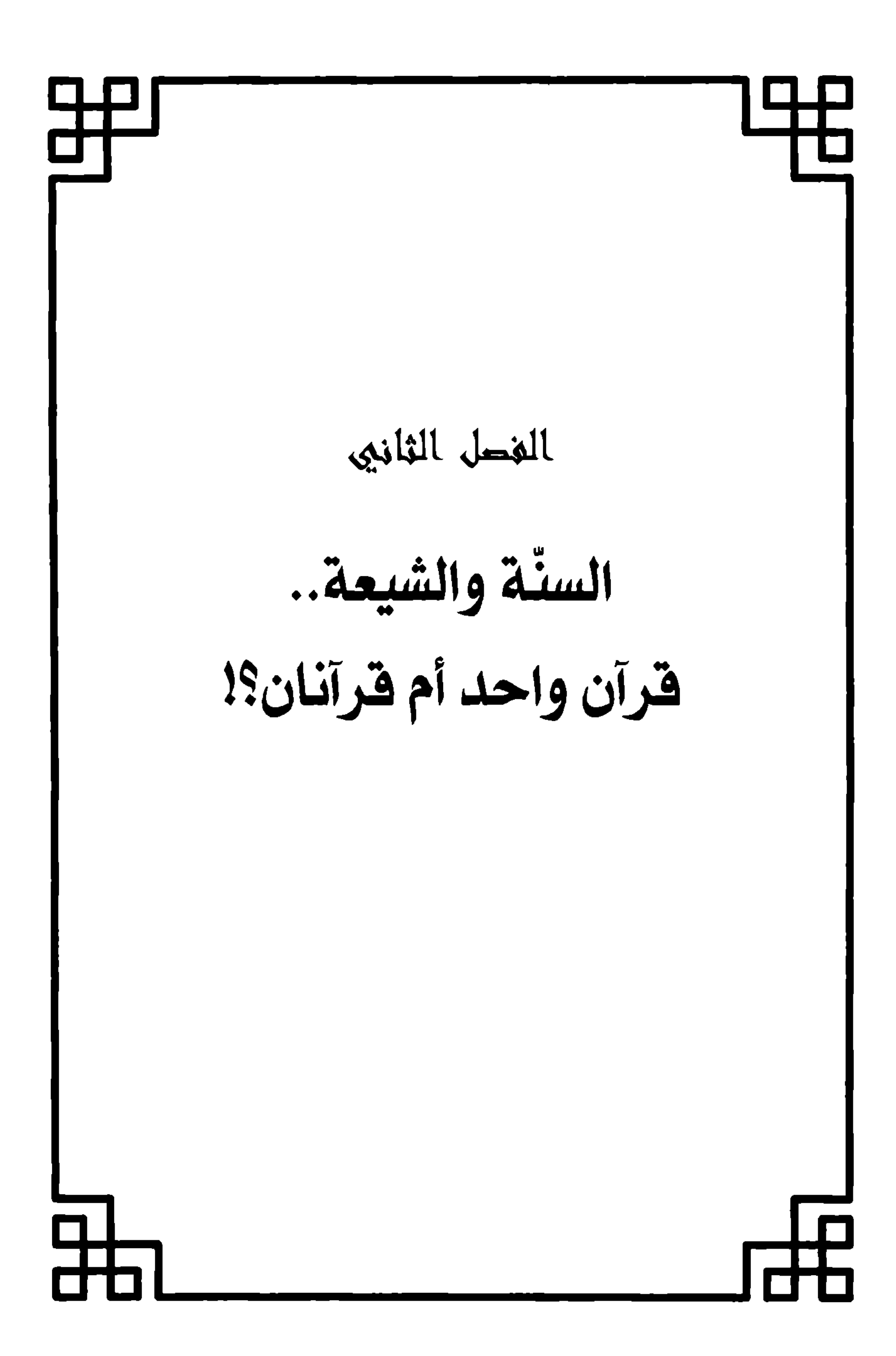
تاريخ الفتوى: ٨/ ٢٠/ ٢٠٠٣

السؤال:

ما رأيكم في ما يقال أن الشيعة كفرة، وهل يجوز لعن يزيد أو قتلة الحسين، الرجاء السرعة في الرد. السائل: إياد الحسين من فلسطين.

الفتوى:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد. . أما القول بالعموم بأن الشيعة (كفرة) والعياذ بالله، فهذا غير صحيح. فالثابت المتفق عليه عند أهل السنّة والجماعة (أن الشيعة مسلمون إلا من ثبت عليه الكفر) وثبوت الكفر لا ينحصر في الشيعة، بل فيهم وفي غيرهم، فكل من ثبت عليه الكفر حكم عليه به. أما انهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيمون الصلاة ويصومون رمضان ويؤدون الزكاة ويحجون البيت، فهم مسلمون ولو كانوا يخالفوننا في بعض فروع العقيدة أو فروع الفقه. أما يزيد بن معاوية فمن المتفق عليه عند جمهور أهل السنّة والجماعة أنه كان فاسقاً ماجناً في ممارساته الشخصية، وقد ذكر ابن حجر في (الصواعق المحرقة) أن العلماء متفقون على فسقه، وأن الخلاف بينهم يدور حول تكفيره. لكن أكثر العلماء عندنا لا يجيزون لعن مسلم بعينه، ويبيحون اللعن بالصفات كالظالمين أو المعتدين أو غير ذلك، وقد قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمة يزيد في سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٦) «ويزيد ممن لا نسبه ولا نحبه»، وذكر عنه أنه «كان ناصبياً ـ أي يبغض علياً ـ فظاً، جلفاً، يتناول المسكر، ويفعل المنكر. افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين رضي الله عنه، واختتمها بوقعة الحرة، فمقته الناس، ولم يبارك في عمره».



الفصل الثاني

السنّة والشيعة..
قرآن واحد أم قرآنان؟!

ورد في موقع «إسلام اون لاين.نت دعوي» استشارات دعوية «تساؤل وجواب حول ما يدعى على الشيعة من اقوال زائفة في مسألة موقفهم من القرآن الكريم، وحيث إن السؤال والجواب كليهما تحليا بالرؤية الجامعة وقد تفضل **المستشار الأستاذ محمد إبراهيم زيدان** مسؤول القسم الشرعي في الموقع المذكور بإجابة شافية جامعة مانعة تنم عن علم دقيق وتقوى راسخة من عالم ـ لا نقول سني ـ بل مسلم أصيل احببنا نشرهما تعميماً للفائدة وحسماً للجدل.

السائل: إبراهيم ـ فلسطين

السنّة والشيعة.. قرآن واحد أم قرآنان؟!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أليس من عوامل تفتت الأمة افتراقها رغم أنَّ ربَّها واحد، ونبيها واحد، وكتابها واحد؛ أما الأوليين فلا سؤال لي حولهما.. لكن الثالث كتاب الله، القرآن الكريم.

سؤالي:

السلفيون ـ وهم تيَّارٌ ضخمٌ له حضورٌ كبير ـ يتبنون تكفير الشيعة، ومن أهم مرتكزاتهم في ذلك هو القول بأنّ الشيعة لا يؤمنون بالقرآن الذي عند أهل السنّة، وأنا أتساءل.. الشيعة غير مضطرين للتقية، فلماذا الافتراض بأنّ إقرارهم بالقرآن هو تقية؟

تقية ممّن، ولهم منعةٌ ولهم دولة، وهم على أيّ حالٍ يقولون ما يحلو لهم وإن أغضب السلفيين، وأهل السنّة ككل؛ ثم لو كان عندهم قرآنٌ آخر.. لماذا لا يوجد في المعمورة بأجمعها أي نسخة غير القرآن المعروف والمتفق عليه؟ والأهم من ذلك، أليس الله يقول ـ وقوله الحق المبين ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، ألا يتعارض هذا مع القول بأنّ الشيعة لهم قرآنٌ آخرٌ يؤمنون به؟ فأي حفظ للذكر مع تعدد القرآن؟؟

ثم كيف تصدى علماء كبار للتقريب بين السنّة والشيعة مع عدم إيمان الشيعة بالقرآن، تقارب ماذا إذًا، وعلى ماذا ولماذا؟؟!!!

ولكن مع ذلك هناك أسئلة معاكسة أخذتها عن أحد الإخوة المهتمين بهذا الشأن، ولربما هو مهتمٌ بإثبات أنّ الشيعة لا يؤمنون بالقرآن.. ونص السؤال:

«أحبتي في الله؛

الشيعة الإمامية قاطبة يجمعون على أنهم يؤمنون بصحة القرآن لا ينكرون منه حرفًا واحدًا. . وليس أمامنا من سبيلٍ إلا أن نصدقهم؛ ولكن تبرز أمامنا أسئلةٌ محيِّرةٌ تجعل الشكّ ينتابنا في صدق ما ذهبوا إليه، بل نكاد نجزم بأن ادعاءهم الإيمان بالقرآن ما هو إلا «تقية»؛ وأتمنى أن نكون مخطئين فيما ذهبنا إليه، والذي يثير الريبة في نفوسنا، ويجعلنا نعتقد جازمين بأنهم غير صادقين بزعمهم مجمل أمورٍ أتمنَّى أن نجد الإجابة منهم عليها لتتبدد الشكوك:

١ ـ جمهرة علمائهم القدامى نقل عنهم ما يؤكّد نقص القرآن، وحاولوا الادعاء بأن النقص ليس في صلب القرآن ولكن في تفسيره، ولكن صراحة النقول عن أئمتهم لا تدعم هذا الاتجاه.

٢ ـ أحد أكابر علمائهم ألَّف كتابًا في إثبات تحريف القرآن، حشد له أكثر من ألفٍ ومائتي حديث كلها تؤكد أن القرآن ليس كما نزل.

٣ ـ عالمهم الجزائري صرّح بأن الاعتقاد بعدم تحريف القرآن فيه رد للأحاديث التي بلغت حدّ التواتر وكلها تدعم القول بالتحريف.

٤ ـ قاصمة الظهر: الشيعة يتّهمون أهل السنّة بتحريف القرآن

كما وجدته عند أحد كتّابهم أثبتوا فيه عدم سلامة جمع أهل السنّة للقرآن، ونقلوا أقوال عن أهل السنّة بنقص القرآن، وأوضح الكاتب اعتقادًا جازمًا بأن أهل السنّة هم الذين قاموا بالتحريف. . . أنا لم أعلق لأنها شبهات لا أصل لها، ورأي علمائنا مبسوطٌ لا يخفى على أحد فإذا قام اتهامهم على أسس مهدومة لا يلتفت إليه ولا تقوم له حجة.

ويأتي السؤال القاصم الآن:

قرآننا محرّفٌ بزعمكم، فكيف تجمعون القول على أنه قرآنكم، تؤمنون بكل حرف فيه؟ فالنتيجة واحدة من اثنتين:

إما أنكم كذبتم في ادعائكم لنا بتحريف القرآن.

وإما أنكم كذبتم في القول بإيمانكم بالقرآن، وعليكم الآن أن تقرّروا رأيكم المختار».

ربما كان في تساؤل ذلك الأخ بعض التناقض، ولكن جوهر السؤال بنظري يحتاج إلى إجابة شافية.

مع أني آسف للإطالة، لكن هذا سؤالٌ يحيّرني وأتمنّى أن أجد له جوابًا عندكم، بحيث يكون حجّة لي عند الله تعالى، فالمسألة جدُّ خطيرة، وسمعت أنّ من كفر مسلمًا فقد كفر، وأيضًا من قال عن كافرٍ ـ يعلم كفره ـ بأنه مسلمٌ فقد كفر.

المستشار الأستاذ محمد إبراهيم زيدان

الأخ الفاضل إبراهيم؛

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

شكر الله لكم حسن تأتيكم للسؤال؛ وكذلك حماسكم ودعوتكم الكريمة لنبذ الخلافات وللتوحُّد تحت راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله»؛ وللتأكيد على الأرضيات المشتركة التي تجمع بين المسلمين في كافة أرجاء المعمورة.

ومما لا شك فيه أنك تطرح موضوعًا خطيرًا إذ يختصّ بالأصل الأول في بناء الإسلام عند المسلمين - الشيعة منهم والسنّة على السواء - وأقصد به القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ والذي تكفل الله وحده برعايته وحفظه وصيانته.. وقدسية القرآن وحرمته وتنزهه عن التحريف بالزيادة أو النقص محل اتفاقٍ وإجماعٍ بين عامة المسلمين سنّة وشيعة؛ وهنا تبدو مناقشة اتهام الشيعة الإمامية بتحريف القرآن أمرًا له أهمّيّته وخطورته أيضًا.

ونقطة البدء التي ينبغي التركيز عليها هي: أنه لا يشكُّ مسلم في أنّ الشيعة الإمامية مسلمون؛ ومن أهل القبلة بكل مقاييس الإسلام الموجودة عند أهل السنّة.. وهذا لا يعدُّ نسيانًا ولا

تغافلاً عن حقيقة الخلافات بين الفريقين، ولكن الذي يعنينا في هذا المقام ثلاث قضايا:

١ ـ محاكمة المذاهب برأي الجمهور لا بالآراء الشاذة.

٢ ـ قيمة هذا القول عند علماء أهل السنّة.

٣ ـ هل وجه الشيعة نفس التهمة لأهل السنّة؟

*** أولاً: محاكمة المذاهب برأي الجمهور لا بالآراء الشاذة:**

حين نتحدّث عن اتهام أهل السنّة للشيعة بالقول بالتحريف فمن الإنصاف المبني على الأدلة العلمية القول بأن فكرة تحريف القرآن ـ على الأقل بالنقص ـ قال بها بعضٌ من علماء الإمامية في نصوصٍ صريحةٍ لا تقبل ردًا ولا تأويلاً.

غير أنّ المنهج العلمي يقتضينا توضيح أنّ الأقوال التي يمكن أنْ تسجّل في تراث الشيعة ويفهم منها اعتقاد التحريف لا تكاد تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة في القديم والحديث على السواء.

ونتساءل من منهجٍ علميٍّ متجرِّد: هل يشكِّل رأيٌ شاذ أو فكرةٌ ينحصر قائلوها في عددٍ محدودٍ اتجاهًا عامًا يحاكم به المذهب وجمهوره وعلماؤه؟

وهل من الحقّ في شيء أن نأخذ موقفًا عامًا من مذهبٍ ما بناءً على رأيٍ شاذٍ قيل فيه؟

إذن فأين ما تصادقنا عليه في أحكامنا حين نقول: هذا رأيٌ شاذ أو رأيٌ ضعيفٌ لا يؤخذ به، وحين نقول أيضًا: هذا هو رأي الجمهور وهو المعول عليه؟

إذن، المنهج العلمي يقضي بأن نحاكم المذاهب برأي الجمهور أو بالرأي المتفق عليه فيها، لا بالرأي الشاذ أو القول الضعيف. . وفي ظل هذه القواعد العلمية المأخوذ بها في تراثنا السني يصبح من غير المنطقي ومن غير المعقول أيضًا إطلاق القول بأن تحريف القرآن يشكل اتجاهاً عاماً في فكر الشيعة الإمامية، وأن لهم مصحفاً يغاير المصحف الذي بأيدينا؛ وكان يمكن أن يكون لهذا الرأي الشاذ في تراث الشيعة بعض القيمة لو أنّ علماءهم صمتوا عنه ولم يردّوه ويحكموا عليه بالشذوذ والانحراف، أما أن تراثهم في القديم والحديث يفيض بأحكامٍ قاطعةٍ تردُّ هذا القول وتبطله، فإن هذا الرأي يجب أن يظل في حدود الشذوذ فقط.

وهنا نجد محاولات علمية متعددة تدلنا على أنّ علماء الشيعة لم يرتضوا القول بالتحريف مثل أن يقولوا إن هذه إسرائيليات دسّت على رواياتهم، أو أنها مرويات ضعيفة السند.

ولتقرأ معي ما كتبه الإمام السيد أبو القاسم الخوئي، والعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في عرضهما لروايات التحريف عند جماعة منهم، وتقسيمها إلى أربعة أقسام:

الأول: روايات دلت على التحريف بعنوانه: كرواية الشيخ الصدوق بإسناده عن جابر، عن النبي ﷺ قال: (يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف، والمسجد، والعترة، يقول المصحف: يا رب حرّفوني ومزقوني، ويقول المسجد: يا رب عطلوني وضيعوني، وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا وشردونا).

الثاني: روايات دلّت على أنّ بعض الآيات المنزلة من القرآن قد ذكرت فيها أسماء الأئمة عليهم السلام، كرواية العياشي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: (أما لو قد قُرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمّين).

الثالث: الروايات التي دلت على تغيير بعض الكلمات، ووضع كلمات أخرى مكانها، مثل ما رواه علي بن إبراهيم القمي في قوله تعالى: (صراط من أنعمت غير المغضوب عليهم وغير الضالين).

الرابع: الروايات التي دلت على التحريف بالنقيصة فقط.

وبعد ذلك شرع العالمان الجليلان في بيان المفهوم الحقيقي لهذه الروايات كالآتي:

أولاً: أن هذا النوع على شذوذه وندرته غير مأمون فيه الوضع والدس، فإن انسراب الإسرائيليات وما يلحق بها من الموضوعات

والمدسوسات بين رواياتنا لا سبيل إلى إنكاره، ولا حجية في خبرٍ لا يؤمن فيه الدس والوضع.

ثانياً: أكثرها ضعيفة الإسناد، فيعلم ذلك بالرجوع إلى أسانيدها، فهي مراسيل أو مقطوعة الإسناد، أو ضعيفة.

ثالثاً: منها ما هو قاصرٌ في دلالته، فإن كثيرًا مما وقع فيها من الآيات المحكية من قبيل التفسير وذكر معنى الآيات، لا من حكاية متن الآية المحرّفة، كما في قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك) «في علي».

وإذا لم يتم هذا الحمل ـ أي حملها على أنه من التفسير ـ فلا بد من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب والسنّة، وقد دلت الأخبار المتواترة على وجوب عرض الروايات على الكتاب والسنّة، وأنّ ما خالف الكتاب منها يجب طرحه وضربه على الجدار.

وهناك كثيرٌ من النصوص لأعلام الشيعة تدل على ذلك مثل: الشيخ الصدوق، وللشيخ المفيد، وللشريف المرتضى، وللشيخ الطوسي، وللعلامة الطباطبائي، وللعلامة محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وللسيد إبراهيم الموسوي الزنجاني، وللشيخ محمد رضا المظفر، وللشيخ الطبرسي، وللحجة محمد جواد البلاغي.

*** ثانياً؛ قيمة هذا القول عند علماء أهل السنّة:**

أول ما نسجله في هذا الموضوع ـ ومن خلال إحصائيات سريعة لقدامى أعلامنا ومؤلفاتهم ـ أنّ الذين حملوا لواء اتهام الشيعة بالتحريف لا يتجاوزون أيضًا عدد أصابع اليد الواحدة؛ ولا نجد صدى لهذا الاتهام، لا عند الأشعري في «مقالاته»، ولا عند عبد القاهر البغدادي في «أصول الدين»، ولا «الفرق بين الفرق»، ولا عند ابن حزم في «الفصل في الملل والنحل»، ولا الشهرستاني في «الملل والنحل».. وهؤلاء هم قمة من أرَّخوا للفِرق الإسلامية وغيرها.

وإذا ما اتجهنا إلى علماء الكلام لا نجد كذلك صدى لهذه القضية في كتاباتهم الكلامية وهم يعرضون لأوجه إعجاز القرآن وحفظه ورعايته من الله تعالى.. فيخلو من صدى هذه القضية كتاب «المواقف» لعضد الدين الإيجي، و«الإرشاد» لإمام الحرمين الجويني، و«شرح المقاصد» لسعد الدين التفتازاني، و«التمهيد» للباقلاني، و«أصول الدين» للبزدوي.

ونفس الموقف أيضًا نجده عند علمائنا في مجال التفسير؛ ففي تفاسير: محمد بن جرير الطبري، وجمال الدين الجوزي، والقطبي، وأبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، وابن كثير، وأبو حيان الأندلسي، وجلال الدين السيوطي، وأبو السعود،

والشوكاني، وكل هؤلاء لم أجد عندهم كلمةً واحدةً حول هذه القضية، لا من قريبٍ ولا من بعيد.. اللهم إلاّ بعض تلميحات أوردها الفخر الرازي في تفسيره الكبير في هذا الموضوع لا تثبت الاتهام، بقدر ما توضح طريقة الفخر الرازي في رد احتجاج القاضي عبد الجبار على إنكار ما ذهب إليه بعض الإمامية من دخول التحريف في القرآن الكريم، وتبعه في ذلك الآلوسي في «روح المعاني».

فاختفاء هذه القضية برمتها من على صفحات كتب التفسير السني والمذاهب الكلامية السنية لهو أقوى دليل على أن هذه القضية لم تكن تستحق المناقشة ولا البحث، وإلا فبماذا نفسر صمت هؤلاء الأئمة الأعلام في تراثنا عن قضيةٍ خطيرةٍ كهذه، تقول: إن في القرآن نقصًا وتبديلاً؟

*** ثالثاً: هل وجّه الشيعة نفس التهمة لأهل السنّة؟**

على الجانب الآخر نجد أن الشيعة الإمامية قد وجهوا نفس هذه التهمة إلى السنّة، وأصبح من المعتاد أن نجد في كتب المحدثين منهم ـ على الأقل ـ أبحاثًا متخصّصة في هذه المسألة، وقد نلتمس لهم بعض العذر في هذا الأمر، إذ من الضروري أن يكون هذا الموقف رد فعل على اتهامهم من قبل السنّة بالتحريف، ودفاعًا عن موقفهم تجاهه.

ولا نريد أن نستطرد في ذكر هذه الأقوال، ولكن نذكر أنّ كل معتمدهم في هذه الدعوى أحاديث وأخبار لا ترقى إلى مستوى الاعتماد عليها، ومعظمها يكون منسوخًا، أو من تفسيرات بعض الصحابة، أو ما إلى ذلك.. ولا يوجد في كتب أهل السنّة المعتمد عليها رواية واحدة صحيحة تدل على أنّ القرآن الذي تركه رسول الله ﷺ عند وفاته نقص منه أو زيد عليه، بل صرح أهل العلم من المسلمين بأنّ من يعتقد مثل هذا فقد خرج عن الملة الحنيفية البيضاء، وإليك هذه النقولات القاطعة في ذلك:

ـ قال السيوطي بعدما ذكر الأقوال بأن جمع القرآن وترتيبه ليس إلا توقيفيًا، قال: قال القاضي أبو بكر في كتابه «الانتصار»: «الذي نذهب إليه أنّ جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو هذا الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان، وإنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه».

ـ وقال البغوي في «شرح السنّة»: «إن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئًا».

ـ وقال الخازن في مقدمة تفسيره: «وثبت بالدليل الصحيح أنَّ الصحابة إنما جمعوا القرآن بين الدفتين كما أنزله الله عز وجل

علـى رسـول الله ﷺ مـن غيـر أن زادوا فـيـه أو نـقـصـوا مـنـه شيئاً. . . فكتبوه كما سمعوه من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا أو أخَّروا شيئًا، أو وضعوا له ترتيبًا لم يأخذوه من رسول الله ﷺ. . . فإن القرآن مكتوبٌ في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن».

ـ هذا وقد بوَّب الإمام البخاري بابًا في صحيحه بعنوان «باب من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين» ثم ذكر تحت ذلك أن ابن عباس قال في جواب من سأل: «أَترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين، وهكذا قاله محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية». .

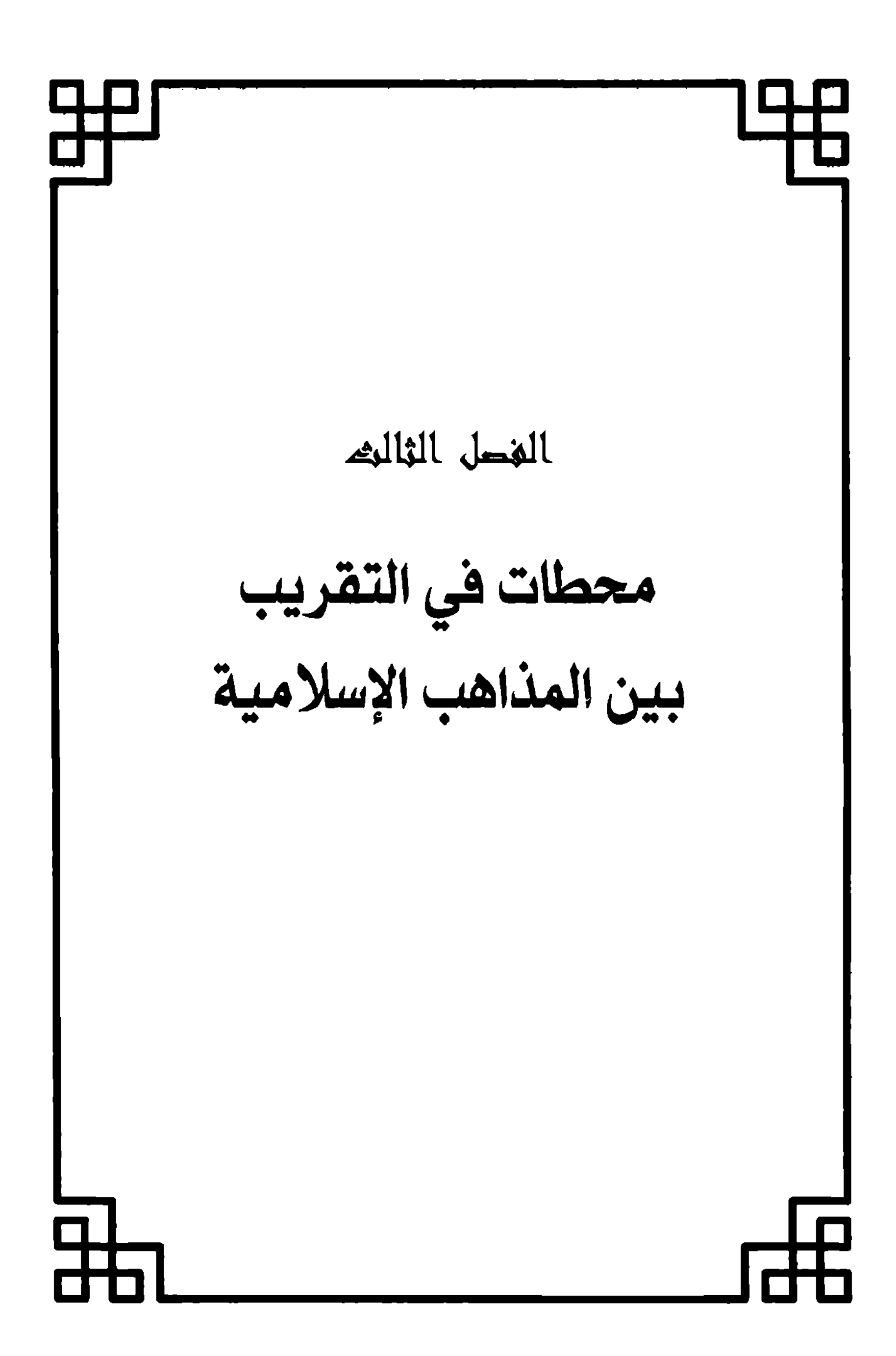
فهذه عقيدة أهل السنّة، وهذه هي أقوال علمائهم الكبار.

وهنا نصل إلى نقطة التقاءٍ تدفعنا دفعًا إلى أن ننادي بإزاحة هذه القضية من على مسرح الاختلاف بين الشيعة والسنّة. . فإذا كانت المسألة تصير إلى أنّ قضية تحريف القرآن شذوذ عند الفريقين، وأن جمهور الفريقين قد ردّها ورفضها، فمن العبث أن تقف قضيَّةٌ بهذه الصورة حجر عثرةٍ في سبيل التقارب بين شطري الأمة الإسلاميّة، وأن يتخذ منها مصدرًا لبثّ الفرقة والاختلاف وتوجيه التهم.

أخي الكريم؛

لعلي قد أرحتك من بعض ما يحيّرك بإجابتي البسيطة هذه، وإن كان الموضوع يحتاج لبحث مطول.

وفقكم الله لكل خير؛ ونسعد بتواصلك معنا دائماً.



الفصل الثالث

محطات في التقريب
بين المذاهب الإسلامية

سعى المخلصون من نُخب الأمة الإسلامية ـ الدينية والفكرية والثقافية ـ باتجاه الوحدة الإسلامية، لأنهم علموا بوجوبها استناداً للكتاب والسنّة، ولضرورتها، من أجل مواجهة التحديات الخطيرة التي تواجه الأمة على كل المستويات، وكانت محطات عدة في هذا السبيل، منها:

أولاً: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية:

حيث أنشأ هذه الدار نخبة من علماء مصر وإيران عام (١٩٤٨م) في القاهرة، وقد احتضن الأزهر الشريف هذه الدار، وشارك الكثير من العلماء السنّة والشيعة في نشاطاتها الوحدوية، منهم شيخ الأزهر المراغي والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ محمد تقي القمي والشيخ عبد المجيد سليم والشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والسيد عبد الحسين شرف الدين، والسيد محمد حسين آغا البروجردي، إضافة إلى الكثير من العلماء في الأمصار الإسلامية الذين أيدوا هذه الدعوة الوحدوية وناصروها وشاركوا في نشاطاتها. وبدأت

تظهر ثمرات أعمال دار التقريب على مستوى المسلمين حيث اعتُمِدَ المذهب الشيعي كمذهب خامس، وأدخل على برنامج التعليم في الأزهر في المجالات الشرعية والفقهية وعلوم الحديث، وأصدرت دار التقريب مجلة رسالة الإسلام، وقد كتب فيها كبار علماء الأمة، تأييداً وتوضيحاً لمسألة التقريب بين المسلمين وتلخصت أهدافها بالتالي:

جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية لا تريد المساس بالفقه الإسلامي ولا اتباع مذاهبه بعضها ببعض، بل هي على النقيض من ذلك، ترى في هذا الاختلاف الفقهي معجزة للمسلمين لأنه دليل على خصوبة في التفكير وسعة في الأفق.

ولن تمد الجماعة يدها إلا لأرباب المذاهب الإسلامية التي تعتقد العقائد الصحيحة التي يجب الإيمان بها.

٣ ـ وهي ترى أن بعض المنتسبين إلى المذاهب الإسلامية يجعلون لبعض المعارف والآراء التي لا صلة لها بالعقائد الصحيحة أهمية طاغية تدفعهم إلى التخاصم والتقاطع والتنابز بالألقاب، ونسيان ما جمع الله عليه القلوب، وألف بين المسلمين، وترى أن أعداء الإسلام والطامعين في استعمار بلاده وإذلال أهله، يتخذون من هذه الخلافات أبواباً يلجون منها إلى مقاصدهم الباغية، ويعملون كل ما في استطاعتهم

على إذكاء نيرانها ليضربوا بعض المسلمين ببعض ثم يضربونهم جميعاً.

٤ ـ وتؤمن إيماناً عميقاً بأن من أهم الواجبات الدينية على كل ذي علم ورأي في شعوب المسلمين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم الإسلامية العمل على تبصير المسلمين بدينهم، وقطع أسباب الخلاف والتفرقة بينهم، ببيان ما هو عقيدة يجب الإيمان به وما هو معارف لا يضر الخلاف فيه. فالغرض من جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية هو أن تكون مركزاً إسلامياً لهذه الفكرة، تتركز فيه جهود المقتنعين بها في أنحاء العالم شرقيّه وغربيّه، وتتجاوب لديه أصواتهم وأبحاثهم وآراؤهم في رفق وحُسن تقبل، فيتهيأ لها جو من البحث العلمي الخالص على ضوء القواعد الإسلامية الصحيحة وحينئذ تتجلى أمام المسلمين أسباب الاختلاف فيما وراء العقائد الدينية والأحكام التشريعية فيعالجونها[١].

ثانياً: تجمع العلماء المسلمين في لبنان:

أُنشئ تجمع العلماء المسلمين عام (١٩٨٢) في طهران، إبان الغزو الإسرائيلي للبنان، وقد تشكل من نخبة فاعلة من علماء

(١) مجلة رسالة الإسلام ـ السنة الخامسة عشرة ـ العدد (٨٥) ـ ص ٦٠.

لبنان من السنّة والشيعة، حيث كان أول تجربة عملية وحدوية على المستوى العالمي، وسعى التجمع منذ عقدين من الزمن ولا يزال إلى تحقيق الأهداف التالية:

أولاً: العمل على تقريب وجهات النظر بين المسلمين وتوحيد رؤياهم الشرعية والفكرية والثقافية.

ثانياً: تبيان حقيقة أن الأمة الإسلامية هي أمة واحدة، جمع بينها الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة، لا يفرق بينها اختلاف جنس أو لون أو لغة أو مذهب. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1].

ثالثاً: السعي إلى تبني القضايا الكبرى للأمة، وخاصة القضية الفلسطينية التي تعتبر لدى التجمع القضية المركزية، وهو يعمل على دعمها بكل الوسائل الشرعية الممكنة.

رابعاً: ويعمل التجمع على إقامة علاقات إسلامية مع علماء المسلمين سنّة وشيعة على مستوى لبنان والعالم الإسلامي، بهدف تركيز جهود العلماء باتجاه قضايا الأمة الإسلامية، على المستوى الثقافي والفكري والدعوي والسياسي.

خامساً: ويقوم التجمع من الحين إلى الآخر بمعالجة قضايا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

شائكة تقع بين المسلمين محلياً واقليمياً ودولياً، ويسعى لحلها، مستخدماً رصيده العلمي والشرعي والمعنوي[1].

ثالثاً: مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية:

أنشئ هذا المجمع عام (١٩٩٠) في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، من أجل السعي العلمي والشرعي للتقريب بين المسلمين باتجاه الوحدة الإسلامية، وهو يعتمد في طروحاته على أصول دينية وشرعية محددة بالتالي:

١ ـ إن الأصول الأساسية للإسلام لا خلاف فيها ـ والحمد لله ـ بين المسلمين فكلهم يعتقدون بتوحيد الرب وبنبوة محمد والأنبياء قبله (صلواته عليهم أجمعين) وأن كتابهم واحد وقبلتهم واحدة.

٢ ـ إن دعوة الناس إلى وحدة الأمة لا يعني رفض المذاهب كلها أو بعضها، كما لا يراد بها إدغام المذاهب والمساومة عليها.. وإنما السبيل الوحيد الذي نتبناه اقتداء بالسلف الصالح من علماء الأمة المسلمين والنخبة من المصلحين في العالم الإسلامي.. هو التأكيد على المشتركات في حقل العقيدة والشريعة باعتبارها الأصول الأساسية للإسلام.

---

(١) الشيخ مصطفى ملص ـ دور الجمهورية الإسلامية الإيرانية في الوحدة الإسلامية ـ مركز دراسات الوحدة الإسلامية ـ ص٢٣ ـ ٢٤.

وراجع كتاب: تجمع العلماء المسلمين في لبنان تجربة ونموذج: الشيخ علي خازم.

٣ ـ لا بد من تعيين المشتركات والأصول الأساسية للإسلام ـ وإن كانت معلومة إجمالاً ـ من قِبل نخبة من علماء المذاهب الإسلامية في مؤتمر عام، وفي لجان تخصصية مهمتها تشخيص الأصول المتفق عليها.

٤ ـ ما دام لم يوضح ولم يحدد معيار (الكفر والإيمان) فليس لأحد رمي الآخر بالكفر، كما لا تجوز المسارعة في الحكم به على أهل القبلة وعلى كل من التزم بالأصول الإسلامية المتفق عليها.

٥ ـ المسائل الخلافية يجب أن تبين على يد علماء المذاهب واعتماداً على المصادر المعتبرة عندهم، ولا يجوز الاستناد إلى الإشاعات والأقوال غير المسندة.

٦ ـ ينبغي اتخاذ منطوق أقوال المذاهب ملاكاً للحكم عليها، ولا ينظر إلى مستلزمات تلك الأقوال مما يرفضها أصحاب المذاهب.

٧ ـ أن لا نجعل المسائل الخلافية الجانبية في نفس درجة أهمية المسائل الأصولية المتفق عليها، مما قد يؤدي إلى سيطرة الفروع على الأصول في زحمة الاختلافات الفرعية.

٨ ـ السعي لفتح باب الاجتهاد في كل المذاهب الإسلامية، وفي كل الأبعاد ـ بالنسبة إلى المسائل الخلافية غير الضرورية ـ لكي تكون أبواب البحث فيها مفتوحة على أساس الالتزام بالحق

والاحتجاج بالدليل، وتكون النفوس مستعدة لقبول ما انتهى إليه البحث حسب الدليل، مهما كان، مع رعاية جانب الإنصاف، وأدب الجدال بالتي هي أحسن.

٩ ـ السعي لإيقاظ المسلمين وإشعارهم بالأخطار والمؤامرات والمخططات التي يتخذها أعداء الإسلام ضدهم، سواء بإشعال الخلافات المذهبية أو القومية أو السياسية أو غيرها، ودعوتهم إلى اتخاذ موقف موحد أمام هذه المؤامرات.

١٠ ـ يلتزم المجمع باتخاذ مواقف حكيمة لحل ما يوجد أحياناً من الخلاف والاقتتال بين فئتين من المسلمين والإصلاح بينهما تلبية لقول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾[١] .. تلك عشرة كاملة[٢].

إن خط الوحدة الإسلامية هو المعول عليه في عملية التغيير في واقع الأمة الإسلامية، وهو المتمثل بمرجعية الكتاب والسنّة، ومحبة آل بيت النبوة الكرام، ومحبة الصحابة (رضي الله عنهم)، فإذا أرادت الأمة المنعة والقوة والعزة، فإن الإسلام هو الترياق، وإذا سعت إلى وحدة العقيدة والفكر فهي في الإسلام، وإذا أرادت وحدة الموقف السياسي فهو في الإسلام، وإذا بحثت عن

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٢) الشيخ مصطفى ملص ـ دور الجمهورية الإسلامية الإيرانية في الوحدة الإسلامية ـ مركز دراسات الوحدة الإسلامية ـ ص١١١ ـ ١١٤ بتصرف واختصار.

النظام الاقتصادي الصحيح فهو في الإسلام، وإذا سعت إلى وحدة الهدف فهو في الإسلام، وإذا أرادت تحرير الأرض والمقدسات فالجهاد في سبيل الله هو الطريق لذلك، وإذا عملت على إعادة صياغة شخصيتها، فإن الإسلام هو الكفيل بذلك.. وإلا ستبقى هذه الأمة تعاني من ضياع فكري وفرقة سياسية، وتخبط اقتصادي وضياع أخلاقي، وذوبان حضاري، وارتهان للشرق والغرب، وخضوع لليهود وشروطهم، وضياع للأرض المباركة والمقدسات الإسلامية.

الخاتمة

المسلمون أمة التوحيد، وهم مأمورون شرعاً أن يكون لهم منهج واحد، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1].. وهذه المهمة ملقاة على عاتق رموز وعلماء وقادة الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي، وهناك عدة عوامل ومعطيات يمكن أن تُجمع عليها الحركات والأحزاب الإسلامية، ومنها:

إن هذه الحركات والأحزاب قد انطلقت في عملها من خلال الإسلام كعقيدة وعبادة وشريعة، وهي تسعى من أجل الوصول إلى استئناف الحياة الإسلامية وإعادة تحكيم شرع الله، على صعيد الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة.

إن هذه الحركات والأحزاب تعلم أن الأمة الإسلامية تمر في مخاض كبير، ولهذا فقد آن الأوان حتى تلتقي على حد أدنى،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣..

في برامجها العامة وتطلعاتها وأهدافها، من أجل متابعة وتحقيق الأهداف والمصالح الإسلامية العامة، في البلد المحدد وفي العالم الإسلامي.

إن هذه الحركات والأحزاب تعلم أنها إذا بقيت متفرقة، فإن هناك قوى داخلية وخارجية تعمل على تشويه صورتها ومحاصرتها، وتسعى لاستيعابها أو حرفها عن مسارها، أو ضربها واستئصالها، ولهذا فقد آن الأوان لهذه الحركات والأحزاب أن تخرج من الضيق في الأفق الفكري والعقلية الحزبية المحددة، والضبابية في الطروحات السياسية، لتعمل على تكملة بعضها البعض، في مشروع سياسي عام يحقق أهداف الإسلام والمسلمين.

إن الحركات والأحزاب الإسلامية، تعلم أن القضية الإسلامية في فلسطين تمر في أخطر مراحلها، وهي تتجه نحو التصفية بسبب عوامل دولية وعربية وفلسطينية، ولهذا فقد وجب على حركات وأحزاب الصحوة الإسلامية في أي بلد كانت أن تتهيأ على جميع الأصعدة والمجالات، لطرح المشروع الإسلامي البديل، والعمل على إيجاد آلية لتنفيذه، من أجل تغيير مسار هذه القضية باتجاه طروحات الإسلام، الذي يرنو إلى تعبئة الأمة الإسلامية عقدياً وسياسياً، تحضيراً للملحمة الكبرى مع اليهود الصهاينة في فلسطين.

وحتى تتأصل مسيرة توحيد الجهود بين حركات وأحزاب الصحوة الإسلامية على الصعيد المحلي أو الإقليمي أو الدولي، لا بد لها من أُسس وضوابط منهجية، وهي التالية:

حسن الظن بالمسلمين، لأن حسن الظن وخاصة بين العاملين في الحقل الإسلامي، يساعد على حل الكثير من العراقيل والمشاكل التي يصنعها الشيطان وأعوانه بين الإخوة، مستغلاً اختلافاتهم في الاجتهادات السياسية والدعوية، يجعل البعض منهم يتابع سقطات الآخرين، مما يؤدي إلى ضعف الثقة فيما بينهم. ولهذا ينبغي أن تبقى الخلافات والاجتهادات في الطروحات وأساليب العمل في حدودها، ومناقشتها بهدوء، من خلال الأطر التنظيمية، والهدف من ذلك هو تقريب وجهات النظر فيما بينهم.

الوضوح في الطروحات، وهذا يعني وجود الحد الأدنى من الاتفاق بين حركات وأحزاب الصحوة الإسلامية، على خطوط سياسية ودعوية تجمعهم، أو بمعنى آخر، وجود طروحات وبرامج سياسية ودعوية واضحة المعالم في خطط عامة، وأخرى مرحلية تستند إلى الموقف الشرعي، حتى يتم التبني لها من قبل هذه الحركات والأحزاب، حتى تعمل مجتمعة أو متفرقة على تطبيقها، ولو اختلفت الأساليب والوسائل فيما بينها.

السعي للعمل من خلال مؤسسات، من أجل نجاح مسيرة العمل المشترك بين هذه الحركات والأحزاب، لا بد من الاتفاق فيما بينها على برامج سياسية ودعوية وتربوية وإعلامية.. وهذه البرامج يجب أن تتحول إلى مشاريع ومؤسسات يعمل الجميع من خلالها، بواسطة إطار مؤسسي عام، يعمل كلٌ في مجاله واختصاصه، والهدف هو إيجاد التفاعل والتقارب بين القيادات والأفراد وأصحاب الاختصاص، ومن خلال هذا التعايش المؤسساتي سيجد الجميع أنهم فريق عمل واحد، وسينتج عن ذلك التحابب والانصهار والتعاون على البر والتقوى.

إن حركات وأحزاب الصحوة الإسلامية، تلتقي في مفاهيمها العقدية على كتاب الله تبارك وتعالى وسنّة النبي ﷺ ومن خلال متابعة قضاياها الفكرية نجد أنها ليست بعيدة في طروحاتها عن بعضها البعض (نسبياً)، وأكثر من ذلك، نرى أن أهدافها البعيدة المدى والمرحلية تقريباً واحدة، محددة بإيجاد الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والدولة الإسلامية، ولهذا فإنه من الأهمية بمكان لهذه الحركات والأحزاب أن تلتقي على الخطوط المبدئية العامة التالية:

اعتبار المسلمين حيثما كانوا أمة واحدة، جمعت بينهم عقيدة الإسلام وشريعته وأخوته، لا يفرق بينهم اختلاف جنس أو لغة أو قومية أو مذهب.

العمل تحت راية الدعوة والجهاد، الدعوة لمواجهة الأفكار الباطلة، وتبيان حقيقة الإسلام، كعقيدة وعبادة وشريعة ودولة، والجهاد لتحرير الأرض من عدو غاصب، أو طاغوت ظالم لا يحكم بما أنزل الله.

سعي الجميع لتطبيق الشريعة الإسلامية واستئناف الحياة الإسلامية، لإقامة الدولة الإسلامية.

من خلال تبني حركات وأحزاب الصحوة الإسلامية لهذه الخطوط المبدئية العامة، كمرحلة أولى نحو توحيد التصورات والأفكار والأهداف، لا بد من الانتقال بعد ذلك إلى التعاون، في إيجاد البرنامج السياسي والدعوي والجهادي الواحد لها، في خطوطه السياسية العامة التالية:

من أجل جمع الحركات والأحزاب الإسلامية على الصعيد المحلي أو الإقليمي أو الدولي، لا بد من إيجاد أُطر مؤسساتية عامة تجمعهم على أي مستوى من المستويات كمجلس إسلامي أو لقاء إسلامي أو مؤتمر إسلامي أو جبهة إسلامية.

تبني حركات وأحزاب الصحوة الإسلامية، على أي (مستوى جغرافي) برنامج سياسي له أبعاد دعوية وإعلامية وتربوية واقتصادية، يهدف إلى استقلال القرار السياسي.

سعي حركات وأحزاب الصحوة الإسلامية إلى إيجاد مرجعية

دينية وسياسية للمسلمين، على المستوى العالمي، كي تسهر على مسيرة الدعوة الإسلامية في العالم، وتتابع خطة العمل العامة ومراحلها، في إيجاد الفرد والأسرة والمجتمع والدولة الإسلامية.

العمل على استمرار حالة الجهاد في فلسطين، ورفدها سياسياً وإعلامياً ومالياً وعسكرياً، من أجل تصعيد الجهاد ضد مشروع (إسرائيل الكبرى)، حتى يتم تحرير الأرض المباركة من البحر إلى النهر.

هـ ـ العمل على مناصرة قضايا المسلمين في العالم عامة والعالم الإسلامي على وجه الخصوص في المجالات الإعلامية والسياسية والمالية.

إن إيجاد الوحدة بين حركات وأحزاب الصحوة الإسلامية، بات من الواجبات الشرعية: وحدة الخطة العامة، ووحدة البرنامج السياسي العام، ووحدة المرجعية الدينية والسياسية لكل المسلمين، وتكون البداية من خلال إقامة مؤتمرات محلية وإقليمية وعالمية، تجتمع فيها حركات وأحزاب وعلماء ورموز ومفكرو الصحوة الإسلامية لدراسة الأولويات في مسار العمل الإسلامي، من أجل إيجاد البرنامج السياسي الموحد والإطار الإسلامي الواحد، تمهيداً للوصول إلى إيجاد (مؤتمر الحركة الإسلامية العالمية)، الذي سيكون له دور مواجهة التحديات

الصليبية واليهودية والوثنية، وإقامة دولة الإسلام، وتوحيد الأمة الإسلامية، وتحرير أراضي الإسلام من كل محتل، ونشر الدعوة الإسلامية في العالم، وبكل الإمكانات والوسائل المشروعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[1].

والحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

الفهرس